استشراف مستقبل الأمة السياسي ومعالم تحقيقه

دكتور/ صالح بن إبراهيم بن محمد الحصيّن
قسم القانون الخاص – كلية الحقوق
جامعة الملك فيصل

الملخص:

علم استشراف المستقبل من اهم العلوم التي يجب على الدولة العناية به إذ هو يرسم الأهداف ويحدد الغايات، وبناء على هذين الأمرين توضع الأنظمة وتسن اللوائح، والاعتماد في هذا على الكتاب والسنة، فبنصوص هذين الوحيين يستشرف المستقبل وترسم الخطط، إذ لم يفرط الله فيهما من شيء، فكل ما تحتاجه الامة موجود في نصوص هذين الوحيين فهما محجة بيضاء ليلها كنهارها.

ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث بالنسبة لراسمي مستقبل الامة السياسي فتكثيف الدراسة الاستشرافية المتطلعة للمستقبل تعين على تحديد مسار الأمة الى الاتجاه الصحيح، وهذا أمر ملاحظ في الدول المتقدمة حيث لها عناية قوية بهذا الجانب.

ومن اهداف هذا البحث؛ توضيح معنى استشراف المستقبل بحيث لا يختلط مع مفهوم المبشرات النبوية، وربط الأمة بكتاب ربها وسنة نبيها محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان المراحل السياسية التي مرت بها الأمة، استشرافا لمستقبلها السياسي، وبيانا لبعض المعالم التي تعين المنظم وتساعده بوضع أنظمة يتحقق على ضوئها مستقبل الأمة السياسي.

ومن اهم النتائج والتوصيات؛ أن استشراف المستقبل علم مهم لوضع الخطة التي تسير عليها الأمة الإسلامية لتحقيق المطلوب منها، وذلك للتلازم بين استشراف المستقبل وسنِّ الأنظمة، وأن يكون العمل وفق السنن الكونية، والتوصية بالتلازم بين العمل الجاد المتقن وبين الإيمان بالقدر، وذلك وفق ما شرع الله سواء تحققت النتائج أو لم تتحقق، والابتعاد عن الابتداع في الدين، ودراسة الماضي لأخذ العبرة منه والتعرف على الواقع والتخطيط للمستقبل.

الكلمات المفتاحية: استشراف، مستقبل، سياسي، أمة.

Exploring the nation's political future and manifestations of achievement

A referential Study

Prepared by: Saleh Ibrahim ALhosayn

Private law department, Faculty of Law,

King Faisal University

Abstract

The subject of exploring the future is considered one of the most significant sciences for which the state should pay great care and attention, as it draw the objectives and determine aims, and based on these two matters regulations are established and laws are legislated relying in that on the Quran and Sunnah, since future can be explored and plans can be drawn only in light of the provisions of these two revelations since nothing was overlooked by Allah in these two revelations. All that which nation's need is found within the provisions of these two revelations; it is the straight path in which night is similar to daytime.

That justifies the great significance of this study for policy makers who make plans for the nation's political future. Thus, intensifying prospective research looking forward to the future helps in guiding the nations to the correct path, and that is a matter that is noticed in developed countries since it gives strong attention to that aspect.

One of the objectives of this research study is to clarify the meaning of future exploration to avoid mixing it with the concept of prophetic missionaries, and tie up the nation to the book of its God and the Sunnah of its prophet Mohammad peace be upon him, and the statement of political stages that the nation has passed through, exploring its political

future, and stating some manifestation that assist the legislature and help him establish laws in light of which the future of the nation is achieved.

One of the most important results and recommendations is that exploring the future is a study science that is vitally needed to enable drawing the plan which Islamic nation has to walk with to achieve what is requested, and that is due to the concomitance between future exploration and legislating, provided that the work should be done based on methodologies of the universe, recommending the need for concomitance between mastered hard work and belief in destiny, in accordance with what is been legislated by Allah whether results has been achieved or not, and avoiding innovation in religion, and studying the past to extract lessons from it, and identifying the reality and planning for the future.

Keywords: Exploration, Future, Political, Nation.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن التطلع لمعرفة المستقبل امر جبلت عليه النفوس، وهذا التطلع اذا كان غير منضبط بقواعد شرعية فإنه يكون رجما بالغيب، ونجد في كتاب ربنا "نَبَأُ مَا كَانَ قَبْلَنَا، وَخَبَرُ مَا بَعْدَنَا، وَحُكْمُ مَا بَيْنَنَا، هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنِ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ"،(١) وهو الهادي في الفتن، وهو الملجأ في المحن، به يستشرف المستقبل؛ لأن بالقرآن تبيان كل شيء، فليس فيه تفريط في شيء، وباستشراف المستقبل بكتاب ربنا يصلح حال أمتنا، حيث تستلهم منه ما يعينها على مجاوزة الأزمات، والتخلص من الانكسارات، والإمساك بزمام المبادرات، لقيادة العالم في زمن المغريات، وإخراجه من عبادة العباد والشهوات، إلى عبادة رب العباد والسموات، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن حرج الصدور إلى انشراحها، فما أحوج العالم في هذا الزمان إلى الإسلام، حيث سيطرت المغريات، واستحكمت الشهوات، وتلبس الناس بالشبهات، فعلينا معشر المسلمين؛ يا من رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا؛ يقع عبء كبير في التمسك بشريعة ربنا، والسير على سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في كل مكان وزمان، وفي دعوة غيرنا إلى هذا الدين، وبيان أن صلاح أمورهم، وانتظام معاشهم، والتخلص من قلقهم واضطرابهم إنما يكون بالدخول في الدين والخضوع لإحكامه.

والناظر في واقع الامة يرى انها وصلت الى مرحلة من الذل، ومع حدوث بعض ثورات الشعوب في المنطقة العربية ضد حكامها حيث سقطت بعض الحكومات، وبعض الحكومات لم تسقط بل ازداد الأمر سوءا، وبعض الحكومات عادت بقناع اشد وأنكى، وسبب هذا راجع لعدم التخطيط السليم المبني على استشراف المستقبل الذي

(١) رواه الترمذي في كتاب فضائل القرآن باب ما جاء في فضل القرآن [١٩٠٦] وقال: "إسناده مجهول وفي الحارث مقال".

يأخذ العبرة من الماضي، وعدم فهم للواقع، فإن ما تراكم عبر عقود من الزمن لا يذهب بين عشية وضحاها، بل كل شيء يكون وفق سنن الله الكونية؛ فلا نغتر بالشعارات ولا تجرنا العواطف فيغيب العقل والمنطق فتقع الكارثة.

أهداف البحث:

١. توضيح معنى استشراف المستقبل بحيث لا يختلط مع مفهوم المبشرات النبوية.
٢. ربط الأمة بكتاب ربها وسنة نبيها محمد صلى الله عليه وسلم فالتطلع إلى مستقبلها لا يكون الا من خلال نصوص هذين الوحيين.
٣. إثبات معجزة النبي صلى الله عليه وسلم في إخباره عن الأمور المستقبلية ووقوعها كما أخبر عليه الصلاة والسلام.
٤. بيان المراحل السياسة التي مرت بها الأمة، واستشراف مستقبلها السياسي.
٥. بيان بعض المعالم التي تعين المنظم وتساعده بوضع أنظمة يتحقق على ضوئها مستقبل الأمة السياسي.

الدراسات السابقة:

الدراسات الاستشرافية المستقبلية كثيرة، بل توجد مراكز متخصصة في ذلك، لكن بعض من كتب في ذلك خلط بين اخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن حوادث مستقبلية وبين استشراف المستقبل فجعل هذه الاخبار استشرافا، وهذا فيه نظر فإن ما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم واقع لا محالة، وعمل المستشرف هو رسم الخطوط المستقبلية التي على ضوئها يتحقق ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم؛ وذلك بالربط بين الماضي والحاضر ثم رسم صورة المستقبل، فهو اجتهاد قابل للصواب والخطأ.

منهجية البحث:

يعتمد على النصوص التي تخبر عن المستقبل بحيث تكون هي الغاية، والنظر في حوادث الماضي والواقع المعاصر ثم وضع المعالم التي تعين على تحقيق البشارات المستقبلية.

خطة البحث:

المبحث الأول: تعريف استشراف المستقبل.

المبحث الثاني: مراحل الأمة السياسية.

المبحث الثالث: معالم تحقيق مستقبل الأمة السياسي.

المبحث الأول: تعريف استشراف المستقبل.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف استشراف المستقبل لغة.

وفيه فرعان:

الفرع الأول: تعريف الاستشراف.

"الشين والراء والفاء أصل يدل على علو وارتفاع"(١)، ومن معانيها: القدر والقيمة؛ ففي الحديث: «وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ أَبْصَارَهُمْ فِيهَا حِينَ يَنْتَهِبُهَا»(٢)، ومن معانيها: التأمل(٣)؛ ففي الحديث: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ نَسْتَشْرِفَ الْعَيْنَ وَالأُذُنَيْنِ وَلاَ نُضَحِّيَ بِعَوْرَاءَ(٤)، ومن معانيها: التطلع والتمكن والحرص(٥)؛ ففي الحديث: «سَتَكُونُ فِتَنٌ القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ وَالقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ المَاشِي وَالمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ»(٦)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا المَالِ شَيْءٌ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلاَ سَائِلٍ فَخُذْهُ وَمَا لاَ فَلاَ تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ»(٧).

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٢٦٣/٣، مادة [شرف].

(٢) متفق عليه، البخاري في كتاب الأشربة باب قول الله تعالى: {إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ} الآية [٥٥٧٨] ومسلم في كتاب الإيمان باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله [٥٧].

(٣) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ١٦٩/٩، مادة [شرف].

(٤) رواه أبو داود في كتاب الضحايا باب ما يكره من الضحايا [٢٨٠٤] والترمذي في كتاب الأضاحي باب ما يكره من الأضاحي [١٤٩٨] وقال: "حديث حسن صحيح".

(٥) انظر: لسان العرب، ١٦٩/٩، مادة [شرف].

(٦) متفق عليه، البخاري في كتاب الفتن باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم [٧٠٨١] ومسلم في كتاب الفتن باب نزول الفتن كمواقع القطر [٢٨٨٦].

(٧) متفق عليه، البخاري في كتاب الزكاة باب من أعطاه الله شيئا من غير مسألة ولا إشراف نفس {وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالمَحْرُومِ} [١٤٧٣] ومسلم في كتاب الزكاة باب إباحة الأخذ لمن أعطي من غير مسألة ولا إشراف [١٠٤٥].

والاستشراف: "أن تضع يدك على حاجبك وتنظر كالذي يستظل من الشمس حتى يستبين الشيء"(١)، فحاصل معناها في اللغة: النظر إلى الشيء المرتفع العالي، والتطلع إليه بتأمل جميع جوانبه، والإحاطة به بتمكن وحرص.

الفرع الثاني: تعريف المستقبل.

"القاف والباء واللام أصل واحد صحيح تدل كلها على مواجهة الشيء للشيء، ويتفرع بعد ذلك"(٢)؛ فمنها: القبل؛ وهو المواجهة، يقال: جلس قبالته؛ أي تجاهه، وتطلق على أول الشيء؛ يقال: رجل مُقْتَبِل الشباب أي مستقبل الشباب، وتطلق على ما يأتي بعد فيقال: القابلة لليلة المقبلة، وعام قابل أي مقبل(٣)، فهي باعتبار الزمن تطلق على الذي لم يأت بعد(٤)، فالزمن إما ماضيا أو حالا أو مستقبلا، فالمستقبل مقابل للماضي والحاضر، وفي الحديث: «لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا سُقْتُ الهَدْيَ، ولَحَلَلْتُ مَعَ النَّاسِ حِينَ حَلُّوا»(٥).

(١) ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤٦٢/٢، مادة [شرف].

(٢) معجم مقاييس اللغة، ٥١/٥، مادة [قبل].

(٣) انظر: لسان العرب، ٥٣٦/١١، مادة [قبل].

(٤) وتطلق أيضا على الماضي؛ قال في لسان العرب ٥٣٦/١١: "قبل نقيض بعد"؛ كما قال تعالى: {قَالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا}، وقال في معجم مقاييس اللغة ٥١/٥: "فأما قبل الذي هو خلاف بعد فيمكن أن يكون شاذا عن الأصل الذي ذكرناه".

(٥) متفق عليه، البخاري في كتاب التمني باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت» [٧٢٢٩] ومسلم في كتاب الحج باب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز إفراد الحج والتمتع والقران وجواز إدخال الحج على العمرة ومتى يحل القارن من نسكه [١٢١١].

المطلب الثاني: تعريف استشراف المستقبل اصطلاحا.

وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: تعريف الاستشراف.

كلمة استشرف واستشراف وردت في كتب الفقه في كتاب الزكاة[١]، ويقصدون بها التطلع والحرص؛ كما قال الإمام احمد رحمه الله تعالى لما سئل عن الاشراف: "تقول في نفسك سيبعث إلي فلان سيصلني فلان"[٢]، وفي كتاب الحج في محظورات الإحرام[٣]، ويقصدون بها التطلع والنظر، وفي كتاب الأضحية[٤]، ويقصدون بها التأمل فيها لطلب سلامتها من العيوب، وفي كتاب الإجارة[٥]، ويقصدون بها نفس المعنى الوارد في كتاب الزكاة، فيلاحظ ان معناها في اصطلاح الفقهاء لا يخرج عن معناها في اللغة وبهذا ورد تعريفها في المعاجم الاصطلاحية الفقهية[٦].

الفرع الثاني: تعريف المستقبل.

عبر الفقهاء عن الاستقبال الذي بمعنى المواجهة؛ كما في استقبال القبلة، وعلى أول الشيء؛ كما في استقبال حول الزكاة[٧]، واما المستقبل باعتبار الزمن فورد استعماله في

---

(١) انظر: السرخسي، المبسوط، ١٤/٣، وابن مفلح، الفروع، ٣١٥/٤: "وما جاءه من مال بلا مسألة ولا استشراف نفس وجب أخذه... وإن استشرفت نفسه إليه بأن قال: سيبعث لي فلان أو لعله يبعث لي وإن لم يتعرض أو تعرض بقلبه عسى أن يفعل نص على ذلك أحمد فنقل جماعة: لا بأس بالرد، وزاد أبو داود: وكأنه اختار الرد"، والبهوتي، شرح منتهى الإرادات، ٤٣١/١، وابن قاسم، حاشية الروض المربع، ٣٢٤/٣، والموسوعة الفقهية الكويتية ٣٢٠/٣ كلمة [استشراف].

(٢) مسند الإمام أحمد ٢٤٧/٣٤ [٢٠٦٤٩] وانظر مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله ٩٩٥/٣ [١٣٥٨] وانظر كلام ابن عبد البر في كتابه التمهيد ٨٨/٥-٩٠.

(٣) انظر: ابن قدامة، الشرح الكبير، ٢٨٢/٨: "وكذلك إن وجد من المحرم حدث عند رؤية الصيد من ضحك أو استشراف ففطن له غيره فصاده فلا شيء على المحرم"، والفروع ٤٧١/٥.

(٤) انظر: المرغياني، الهداية شرح بداية المبتدئ، ٧٣/٤: "أما الأذن فلقوله عليه الصلاة والسلام: «استشرفوا العين والأذن» أي اطلبوا سلامتهما"، والشرح الكبير ٤٤٥/٩.

(٥) انظر: المطيعي، المجموع شرح المهذب، ٤٩٠/١٣: "وأما من علم القرآن على أنه لله وأن يأخذ من المتعلم ما دفعه إليه بغير سؤال ولا استشراف نفس فلا بأس به".

(٦) انظر: النسفي الحنفي، طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية، ٧١، ٢٤٢، والفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ٢٥٥، وقلعه جي وقنيبي، معجم لغة الفقهاء، ٦١، ٢٦٠.

(٧) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية ٦١/٤ كلمة [استقبال].

كتاب الطلاق في ايقاعه في المستقبل[١]، وتعريفه في المعاجم الاصطلاحية الفقهية: "ما يترقب وجوده بعد زمانك الذي أنت فيه، يسمى به؛ لأن الزمان يستقبله"[٢].

الفرع الثالث: تعريف استشراف المستقبل مركبا.

الفقهاء المتقدمون رحمهم الله تعالى لم يضعوا تعريفا لهذا المصطلح بهذا التركيب؛ فهو مصطلح حادث، وهذا الكلام لا يترتب عليه انهم لم يعرفوا استشراف المستقبل بل الناظر يجد انهم قد استعملوا مضمون هذا المصطلح وخصوصا في السير فنجد في سيرة عمر رضي الله عنه أمورا تدل على استشرافه للمستقبل وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الخاصية عند عمر رضي الله عنه حيث قال: «لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ»[٣]، والمحدث هنا الملهم الصادق الظن الذي يلقى في روعه الشيء عن امر سيقع مستقبلا فيقع وفق ما ظنه[٤]، ولهذا وافق عمر رضي الله عنه ربه عز وجل في عدة مواضع يقولها فينزل القرآن موافقا لرأيه[٥]، وفي موقعة القادسية كتب عمر رضي الله عنه الى سعد رضي الله عنه: "إني قد ألقي في روعي أنكم إذا لقيتم العدو هزمتموهم، فاطرحوا الشك، وآثروا التقية عليه"[٦]، فوقع كما اخبر، ولا شك ان هذا كان منه بناء على معطيات سابقة وجدها في هذا الجيش من التقوى والزهد والايثار واجتناب الظلم، ولهذا لما أُخبر الحجاج في

(١) انظر: البهوتي، الروض المربع، ٤٣٦.

(٢) الجرجاني، التعريفات، ٢١٣.

(٣) متفق عليه، البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب مناقب عمر بن الخطاب [٣٦٨٩]، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر [٢٣٩٨].

(٤) ذكر اهل العلم عدة اراء في معنى المحدث وكلها تدور حول ما ذكرته، انظر: النووي، شرح صحيح مسلم، ١٦٦/١٥، وابن حجر، فتح الباري، ٥٠/٧، والطحاوي، شرح مشكل الآثار، ٣٣٦/٤، والبيهقي، دلائل النبوة، ٣٦٩/٦، وابن عساكر، تاريخ دمشق الكبير، ٩٧/٤٨.

(٥) متفق عليه، البخاري في كتاب الصلاة باب ما جاء في القبلة ومن لم ير الإعادة على من سها فصلى إلى غير القبلة [٤٠٢]، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر [٢٣٩٩].

(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٤٩٢/٣.

ولايته على العراق عن تكلم البقر في تلك الواقعة[١] ارسل الى من حضرها فقال لهم: "والله ما يكون هذا إلا والجمع أبرار أتقياء، قالوا: والله ما ندري ما أجنت قلوبهم، فأما ما رأينا فإنا لم نر قوما قط أزهد في دنيا منهم، ولا أشد لها بغضا، ما اعتد على رجل منهم في ذلك اليوم بواحدة من ثلاث، لا بجبن ولا بغدر ولا بغلول"[٢]، ونقل عن علي رضي الله عنه انه وصف ابن عباس رضي الله عنهما: "إنه لينظر إلى الغيب من ستر رقيق"[٣]، وليس معناه انه يعلم الغيب لكن ينظر الى الأمور الحالية فيظن ان المستقبل يكون كذا فيقع كما ظن؛ وهذا هو الاستشراف، ويزيد هذا وضوحا قصة أبي سفيان رضي الله عنه مع هرقل حينما سأله عدة أسئلة وبناء عليها استنتج منها صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم واستشرف لها امرا مستقبليا بأنها ستملك موضع قدميه، فوقع كما استشرف[٤].

وبالنظر الى المعاصرين نجد انهم قد عرفوا هذا المصطلح وتكاد تعاريفهم تتفق في المضمون؛ وان اختلفت عباراتهم؛ فهي تتفق على ان استشراف المستقبل هو توقع للمستقبل، وهذا التوقع مبني على دراسة الماضي والحاضر؛ وذلك وفق سنن الله الكونية، والغاية منه جلب نفع او دفع ضر[٥]، والتعريف لابد منه ان يكون مبينا لحقيقة الشيء أو موضحا لمعناه، فيمكن ان يعرف استشراف المستقبل اصطلاحا بأنه: "التطلع بتمكن وحرص في المعطيات الماضية والحالية لتوقع المستقبل وفق السنن الكونية والقواعد الشرعية".

---

(١) ذكرها الطبري في تاريخه ٤٩٤/٤ وملخصها ان سرية من جيش سعد رضي الله عنه اغاروا على جهة فوجدوا راعيا فسألوه عن البقر فحلف لهم انه لا يعلم فصاح منها ثور كذب والله وها نحن أولاء.

(٢) السابق ٤٩٥/٣.

(٣) انظر: البرهان فوري، كنز العمال، ٤٥٩/١٣ [٣٧١٩٣].

(٤) هذه القصة رواها البخاري في كتاب بدء الوحي [٧].

(٥) انظر: محمد شتا أبو سعد، مبادئ علم استشراف المستقبل، ١٧، والشنقيطي، وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، ٢٦٩، وحاتم شنتير، نماذج من استشراف المستقبل في السيرة النبوية، ٥، وقشوع، استشراف المستقبل في الأحاديث النبوية، ٢١، وقزق وخصاونه، السنن الإلهية في القرآن الكريم ودورها في استشراف المستقبل، ٧، والمزيني، فقه التوقع، ومعالم في الاستشراف ١٢، وشحاته، تأصيل استشراف المستقبل من خلال السنة النبوية ٨.

التطلع[١] بتمكن وحرص؛ اذ التطلع يستلزم التأمل والإحاطة ودراسة الامر من جميع جوانبه، ومن لوازم هذه الإحاطة النظر في معطيات الماضي والحاضر فحاصل النظر ينبني عليه توقع المستقبل ثم العمل على هذا التوقع؛ وهذا التوقع اجتهاد من المستشرف، والمجتهد قد يصيب وقد يخطئ[٢]، وهذا التوقع لابد ان يكون وفق سنن الله الكونية التي لا تتغير ولا تتبدل {فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا}[فاطر ٤٣] وهذا نص قطعي عام ومطرد وثابت لا يتغير، وهو حاكم على كل الخلق وجميع الأمم مما يدل على ان علم استشراف المستقبل من صلب العلم[٣]، وهذا يخرج التوقع المبني على الكهانة والشعوذة والتنجيم[٤].

فالمستشرف يعمل وفق شقين:

الأول: دراسة واقع الحاضر والتنبؤ بما يكون عليه المستقبل وفق هذه المعطيات الحالية ومن ثم محاولة الزيادة في تحسينه ان كان إيجابيا او تصليحه ان كان سلبيا، فالتطلع يستلزم وضع القواعد التي توصل الى تحقيق الهدف المتوقع حصوله وفق السنن الكونية؛ لأن الله عز وجل لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وهذا الهدف قد يتحقق على ايدينا او ايدي من بعدنا المهم ان يكون خط السير للوصول اليه واضح المعالم، ولذا في الحديث عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُود رضي الله عنه قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا خَطًّا، فَقَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللهِ» ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِ الْخَطِّ وَعَنْ شِمَالِهِ فَقَالَ: «هَذَا السَّبِيلُ، وَهَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ» ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ} لِلْخَطِّ الْأَوَّلِ، {وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ} لِلْخُطُوطِ

(١) التطلع لمعرفة المستقبل طبيعة جبلت النفوس البشرية عليها كما يقول ابن خلدون في مقدمته ٣٣٠: "اعلم أن من خواص النفوس البشرية التشوق إلى عواقب أمورهم وعلم ما يحدث لهم من حياة وموت وخير وشر سيما الحوادث العامة كمعرفة ما بقي من الدنيا ومعرفة مدد الدول أو تفاوتها والتطلع إلى هذا طبيعة مجبولون عليها".

(٢) انظر: محاضرة لسفر الحوالي على موقعه الشخصي في الشبكة العنكبوتية، http://majles.alukah.net/t٨٦٢٥/#ixzz٣٣٥hWP٨QW.

(٣) انظر: الشاطبي، الموافقات، ٧٧/١ حيث ذكر أنواع العلم وخواص كل علم.

(٤) انظر: الوعلان، الآيات الكونية دراسة عقدية، ١٥٠، حيث ذكر مصادر معرفة المستقبل وبيَّن المخالفات العقدية المتعلقة بالدراسات المستقبلية.

{فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: ١٥٣][(١)]، فهو وضع الهدف ثم حدد الطريق ثم بين المعوقات ثم امر بالسير.

الثاني: وجود هدف متحتم الوقوع بنص من الوحي –الكتاب او السنة– كالمبشرات النبوية المحتم وقوعها، او الفتن المخبر عنها، ففي المبشرات يعمل على وضع المعالم التي تهيئ الناس لان يكونوا اهلا لهذه البشارة، وفي الفتن يعمل على التخفيف من آثارها، وتهيئة الناس للتعامل معها وفق القواعد الشرعية، مثل ما أخبر صلى الله عليه وسلم؛ وَهُوَ مُسْتَقْبِلٌ الْمَشْرِقَ؛ فقال: «أَلاَ إِنَّ الْفِتْنَةَ هَا هُنَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ»[(٢)]، فتنبه الصحابة لهذا الأمر ولم يتركوا بلاد المشرق؛ وهي العراق والمشرق عموما[(٣)]، بل أولوها العناية الفائقة فبثوا فيها الدعاة، ففي زمن عمر رضي الله عنه أرسل إليها ما يقارب ثلاثين معلما كلهم من الصحابة رضي الله عنهم[(٤)]، ولذا نجد مع كثرة الفتن التي وجدت من ناحية المشرق قابله عدد لا يستهان به ممن خرجهم المشرق من أئمة المسلمين في الحديث والفقه وغيرهما من أنواع العلوم.

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى [١١١٠٩]، والإمام احمد في مسنده [٤١٤٢] وقال محققو المسند: "إسناده حسن"، وصحح إسناده الشيخ: احمد شاكر في تحقيقه للمسند ١٥٦/٤ [٤١٤٢].

(٢) متفق عليه، البخاري في كتاب المناقب [٣٥١١]، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة باب الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان [٢٩٠٥].

(٣) قال في فتح الباري ٤٧/١٣: "نجد من جهة المشرق ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها وهي مشرق أهل المدينة".

(٤) انظر: همام سعيد وابنه محمد، موسوعة أحاديث الفتن وأشراط الساعة، ٢٠٨.

المبحث الثاني: مراحل الأمة السياسية.

دين الإسلام قائم إلى قيام الساعة؛ فعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «لاَ يَزَالُ الدِّينُ قَائِمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»(١)، ولا تزال طائفة من هذه الأمة منصورة ظاهرة؛ فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِى يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(٢)، لكن مر وسيمر على معتنقيه فترات متباينة، فأول أمر اتباعه في ضعف؛ فعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ يَتْبَعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ بِعُكَاظٍ وَمَجَنَّةَ وَفِي الْمَوَاسِمِ بِمِنًى يَقُولُ: «مَنْ يُؤْوِينِي مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي وَلَهُ الْجَنَّةُ»، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ مِنْ الْيَمَنِ أَوْ مِنْ مُضَرَ فَيَأْتِيهِ قَوْمُهُ فَيَقُولُونَ: احْذَرْ غُلَامَ قُرَيْشٍ لَا يَفْتِنُكَ، وَيَمْشِي بَيْنَ رِجَالِهِمْ وَهُمْ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ، حَتَّى بَعَثَنَا اللَّهُ إِلَيْهِ مِنْ يَثْرِبَ فَآوَيْنَاهُ وَصَدَّقْنَاهُ، فَيَخْرُجُ الرَّجُلُ مِنَّا فَيُؤْمِنُ بِهِ وَيُقْرِئُهُ الْقُرْآنَ فَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ فَيُسْلِمُونَ بِإِسْلَامِهِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا رَهْطٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ، ثُمَّ ائْتَمَرُوا جَمِيعًا فَقُلْنَا: حَتَّى مَتَى نَتْرُكُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطْرَدُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ وَيَخَافُ، فَرَحَلَ إِلَيْهِ مِنَّا سَبْعُونَ رَجُلًا حَتَّى قَدِمُوا عَلَيْهِ فِي الْمَوْسِمِ فَوَاعَدْنَاهُ شِعْبَ الْعَقَبَةِ فَاجْتَمَعْنَا عَلَيْهِ مِنْ رَجُلٍ وَرَجُلَيْنِ حَتَّى تَوَافَيْنَا فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نُبَايِعُكَ قَالَ: «تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ وَالنَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ وَأَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ لَا تَخَافُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي فَتَمْنَعُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ وَلَكُمْ الْجَنَّةُ» قَالَ: فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ(٣)، فهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فكثر اتباعه وقويت شوكتهم، حتى دانت له جزيرة العرب، ثم راسل ملوك الأرض في

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإمارة باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش [١٨٢١].

(٢) رواه مسلم في كتاب الإمارة باب قَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم: «لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِى ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ» [١٩٢٠].

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده [١٤٤٥٦]، وابن حبان في صحيحه [٦٢٧٤]، والبيهقي في دلائل النبوة باب ذكر العقبة الثانية وما جاء في بيعة من حضر الموسم من الأنصار ٤٤٢/٢، قال في مجمع الزوائد ٤٦/٦: "ورجال أحمد رجال الصحيح"، وصحح إسناده محققو مسند الإمام أحمد، وصححه الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان.

ذلك الزمان يدعوهم إلى الإسلام؛ فكتب إلى هرقل كتابا جاء فيه: «بِسْمِ اللَّـهِ الـرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ(١) {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}[آل عمران: ٦٤]»(٢)، ولم يمت صلى الله عليه وسلم إلا وقد كمَّل الله له الدين، وأتم عليه النعمة، فما من خير إلا أرشد إليه، وما من شر إلا حذر منه، فتركنا صلوات ربي وسلامه عليه على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، ثم سار خلفائه على نهجه واقتفوا أثره فافتتحوا الأمصار وملكوها؛ كما قال عتبة بن غزوان رضي الله عنه: "وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّـهِ صلى الله عليه وسلم مَا لَنَا طَعَامٌ إِلاَّ وَرَقُ الشَّجَرِ حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا فَالْتَقَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ فَاتَّزَرْتُ بِنِصْفِهَا وَاتَّزَرَ سَعْدٌ بِنِصْفِهَا فَمَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ مِنَّا أَحَدٌ إِلاَّ أَصْبَحَ أَمِيرًا عَلَى مِصْرٍ مِنَ الأَمْصَارِ"(٣)، ثم مر على اتباع هذا الدين حالة ضعف وخور، وسيمر عليهم إن شاء الله تحقيقا حالة قوة، ومع مرور اتباعه بهذه الفترات المتباينة فإن الفتنة فيهم قائمة موجودة إذ أن بابها مكسور وشأن الباب أنه إذا كسر لم يغلق؛ فعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ عُمَرَ رضى الله عنه فَقَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم فِى الْفِتْنَةِ، قُلْتُ: أَنَا، قَالَ: إِنَّكَ عَلَيْهِ أَوْ عَلَيْهَا لَجَرِىءٌ، قُلْتُ: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِى أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ تُكَفِّرُهَا الصَّلاَةُ وَالصَّوْمُ وَالصَّدَقَةُ وَالأَمْرُ وَالنَّهْىُ»، قَالَ: لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ، وَلَكِنِ الْفِتْنَةُ الَّتِى تَمُوجُ كَمَا يَمُوجُ الْبَحْرُ، قَالَ: لَيْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا بَأْسٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا، قَالَ: أَيُكْسَرُ أَمْ يُفْتَحُ؟، قَالَ: يُكْسَرُ، قَالَ: إِذًا لاَ يُغْلَقَ أَبَدًا، قُلْنَا: أَكَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ الْبَابَ؟، قَالَ: نَعَمْ كَمَا أَنَّ دُونَ الْغَدِ اللَّيْلَةَ، إِنِّى حَدَّثْتُهُ بِحَدِيثٍ لَيْسَ بِالأَغَالِيطِ، فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَ حُذَيْفَةَ فَأَمَرْنَا مَسْرُوقًا

(١) الأَرِيسِيِّينَ: الخدم والخول. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣٨/١ مادة [أرس].

(٢) متفق عليه، البخاري في كتاب بدء الوحي[٧]، ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام [١٧٧٣].

(٣) رواه مسلم في كتاب الزهد والرقائق [٢٩٦٧].

فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: الْبَابُ عُمَرُ،(١) وفي رواية مسلم: "وَحَدَّثْتُهُ أَنَّ ذَلِكَ الْبَابَ رَجُلٌ يُقْتَلُ أَوْ يَمُوتُ"، ولذا لما طعن عمر رضي الله عنه جزع فدخل عليه ابن عباس رضي الله عنهما فجعل يواسيه لما رأى به من الجزع فقال له عمر رضي الله عنه: "وَأَمَّا مَا تَرَى مِنْ جَزَعِي فَهُوَ مِنْ أَجْلِكَ وَأَجْلِ أَصْحَابِكَ"(٢)، مما يؤكد معرفته بوقوع الفتن بعده، فوقع ما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فكانت فتنتهم في المال: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ»(٣)، ثم وقع السيف بين الأمة بقتل عثمان رضي الله عنه ثم لم يرفع عنها؛ كما اخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم: «إِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ عَنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(٤)، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بمراحل ولاية الأمة فقال: «تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ مُلْكاً عَاضًّا فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ مُلْكاً جَبْرِيَّةً فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ»(٥)، فمراحلها على النحو الآتي: نبوة، ثم خلافة على منهاج النبوة، ثم ملكا عاضا، ثم ملكا جبريا، ثم خلافة على منهاج النبوة، فهو حديث يبين صفة الولاية، أما القوة السياسية للأمة فهي بلا شك ليست محصورة في مرحلة النبوة والخلافة الراشدة؛ وذلك أنا لو نظرنا إلى التاريخ وجدنا أن مرحلة النبوة كان الوضع السياسي في أول البعثة ضعيفا فلم يكن للرسول صلى الله عليه وسلم في مكة كلمة لكن بعد الهجرة قوي الوضع السياسي حتى دانت الجزيرة للإسلام واستمرت هذه القوة في مرحلة الخلافة الراشدة وكذلك مرحلة بني أمية وصدر خلافة بني العباس وهي مرحلة الملك العاض

(١) متفق عليه، البخاري في كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام [٣٥٨٦]، ومسلم في كتاب الإيمان باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا [١٤٤].

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عمر بن الخطاب [٣٦٩٢].

(٣) رواه الترمذي في كتاب الزهد باب ما جاء أن فتنة هذه الأمة المال [٢٣٣٦] وقال: "حديث حسن صحيح"، والنسائي في السنن الكبرى كتاب الرقائق [١١٧٩٥].

(٤) رواه الترمذي في كتاب الفتن [٢٢٠٢] وقال: "حديث حسن صحيح".

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده [١٨٤٠٦] وقال محققو المسند: "إسناده حسن"، وأبو داود الطيالسي في مسنده [٤٣٩] وقال محققه: "إسناده حسن".

والذي فيه معنى الاستئثار بالملك وحصره في ولادة معينة، وفيه عسف وظلم،(١) ووضع للمال في غير موضعه؛ ومرحلة الملك العاض لا يخلو من الرحمة، لكن الملك الجبروت هو الذي يكون فيه استحلال المحرمات، وفرق بين استحلال المحرم والوقوع فيه؛ فَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَوَّلُ دِينِكُمْ نُبُوَّةٌ وَرَحْمَةٌ، ثُمَّ مُلْكٌ وَرَحْمَةٌ، ثُمَّ مُلْكٌ أَعْفَرُ، ثُمَّ مُلْكٌ وَجَبَرُوتٌ يُسْتَحَلُّ فِيهَا الْخَمْرُ وَالْحَرِيرُ» قَالَ أَبُو مُحَمَّد: الأَعْفَرُ شِبْهُ التُّرَابِ وَلَيْسَ فِيهِ طَمَعُ مُلْكٍ(٢)، فلاحظ التدرج هنا في صفة الملكية: رحمة، ثم أعفر وفسر كما في الحديث بأنه شبيه التراب وليس فيه طمع، وقيل: هو الذي "يساس بالنكر والدهاء من قولهم للخبيث المنكر: عِفْر"(٣)، ثم الجبروت الذي فيه معنى الكبر والعتو والقهر وعدم قبول الحق(٤)، ولهذا يُستحل فيه محارم الله، فهذه هي مرحلة ضعف الأمة سياسيا بعد ضعفها دينيا وهو شر، ويؤكد هذا المعنى الترتيب الوارد في حديث حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ رضي الله عنهما؛ حيث يَقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟، قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟، قَالَ: «نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ»، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟، قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»، قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟، قَالَ: «نَعَمْ دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، فَقَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا» قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ، قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ

(١) انظر: الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، ٤٤٣/٢، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ٢٥٣/٣.

(٢) رواه الدارمي في مسنده المعروف بـ"سنن الدارمي" في كتاب الأشربة باب ما قيل في المسكر [٢١٤٦] وقال محققه: "إسناده منقطع".

(٣) الفائق في غريب الحديث، ٥/٣، وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢٦٢/٣، ولسان العرب، ٥٨٤/٤ مادة [عفر].

(٤) انظر: لسان العرب، ١١٣/٤ مادة [جبر].

الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ، قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»(١).

فهذه الأطوار الثلاثة القوة والضعف والقوة قد أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم فينتظم هذا المبحث في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مرحلة القوة.

بدأت القوة منذ هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة قال تعالى: {لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ} [التوبة ١٠٨] أي "أول الزمن الذي عز فيه الإسلام وعَبدَ فيه النبي صلى الله عليه وسلم ربه آمنا"(٢)، ولهذا اجمع الصحابة رضي الله عنهم على ان يكون ابتداء التاريخ منها(٣)، فهي كما قال عمر رضي الله عنه: "فرقت بين الحق والباطل"(٤)، وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بمضي هذا الأمر فقال: «لَا يَزَالُ أَمْرُ النَّاسِ مَاضِيًا مَا وَلِيَهُمُ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا»(٥)، وقد اختلف اهل العلم في المراد بهؤلاء الاثني عشر هل هم على التوالي ام متفرقين؟.

فيرى البيهقي رحمه الله تعالى انهم على التوالي الى عهد الوليد بن يزيد بن عبد الملك(٦)، ونقد ابن كثير رحمه الله تعالى هذا ورأى انهم ليسوا على التوالي(٧)، وبالنظر الى روايات الحديث فان ما ذهب اليه البيهقي هو الصحيح؛ وبيان ذلك انه بجمع ألفاظ هذا الحديث نجد انهم وصفوا بعدة صفات ففي لفظ: «كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ»(٨)،

(١) متفق عليه، البخاري في كتاب الفتن باب كيف يكون الأمر إذا لم تكن جماعة [٧٠٨٤]، ومسلم في كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة [١٨٤٧].

(٢) انظر: فتح الباري ٢٦٨/٧.

(٣) انظر: السابق.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في كتابه تاريخ الأمم والملوك ٣٨٨/٢.

(٥) متفق عليه، مسلم في كتاب الإمارة باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش [١٨٢١]، والبخاري في كتاب الأحكام [٧٢٢٢].

(٦) انظر: دلائل النبوة ٥٢٠/٦.

(٧) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٨٦/٩.

(٨) سبق تخريجه.

وفي لفظ: «لَا يَزَالُ الْإِسْلَامُ عَزِيزًا مَنِيعًا»(١)، وفي لفظ: «إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَنْقَضِي حَتَّى يَمْضِيَ فِيهِمِ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً»(٢)، وفي لفظ: «يُنْصَرُونَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ عَلَيْهِ»(٣)، وفي لفظ: «لَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ مُسْتَقِيمٌ أَمْرُهَا ظَاهِرٌ عَلَى عَدُوِّهَا»(٤)، وفي لفظ: «كُلُّهُمْ تَجْتَمِعُ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ»(٥)، وفي لفظ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ»(٦)، واخبر بوقوع الهرج بعدهم(٧)، فإذا جمعت هذه الصفات تجد انها تنطبق على الخلفاء الراشدين وعلى بعض خلفاء بني امية وهم: معاوية بن ابي سفيان وعبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ويزيد بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد بن عبد الملك فهؤلاء تنطبق عليهم الصفات الواردة في حديث سمرة رضي الله عنهم، وما عداهم كعبد الله بن الزبير ويزيد بن معاوية وابنه معاوية ومروان بن الحكم فلا ينطبق عليهم لعدم اجتماع الامة عليهم، واما الحسن بن علي رضي الله عنهما فإنه لم يتم له الأمر وولايته تعتبر متممة لخلافة ابيه، واذا نظرت في سيرة هؤلاء وجدت انهم تولوا على جميع ارض الإسلام، وخُطب باسمهم في جميع منابر بلاد الإسلام، وجيوشهم في الاندلس وفي الصين وفي ارض الروم، وهذا الرأي ذهب اليه بعض اهل العلم(٨)، ويؤكد صحة هذا الرأي ما روي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: "اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً مِنْ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، ثُمَّ النَّقَفُ وَالنِّقَافُ(٩)، لَنْ يَجْتَمِعَ أَمْرُ النَّاسِ عَلَى إِمَامٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ"(١٠)، فهذا الأثر يأخذ حكم المرفوع؛ لأن

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه الإمام احمد في مسنده [٢٠٩٢٦]، وابن حبان في صحيحه [٦٦٦٣].

(٤) رواه الطبراني في المعجم الأوسط [٦٣٨٢].

(٥) رواه أبو داود [٤٢٧٩].

(٦) رواه الإمام احمد في مسنده [٢٠٩٢٤].

(٧) رواه أبو داود [٤٢٨١].

(٨) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ٢٣٨/٨، وفتح الباري ٢١١/١٣.

(٩) النقف والنقاف: أي القتل والقتال، والنقف: هشم الرأس؛ أي تهييج الفتن والحروب بعدهم. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١٠٩/٥ مادة [نقف].

(١٠) رواه حماد بن نعيم في كتابه الفتن عدة ما يذكر من الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الأمة [٢٢٦].

عبد الله رضي الله عنه لا يخبر بمثل هذا الا عن سماع، والواقع يشهد بذلك فإنه لم تجتمع الأمة بعدهم الى زماننا هذا.

وهذه المرحلة منقسمة الى ثلاث صفات:

أولها: نبوة ورحمة لمدة عشر سنوات، بداية من الهجرة الى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في أول السنة الحادية عشرة.

ثانيها: خلافة على منهاج النبوة، ومدتها ثلاثون سنة؛ كما في حديث سفينة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «الْخِلَافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ يَكُونُ مُلْكٌ» ثُمَّ قَالَ سَفِينَةُ: "أَمْسِكْ، خِلَافَةُ أَبِي بَكْرٍ وَخِلَافَةُ عُمَرَ ثِنْتَا عَشْرَةَ سَنَةً وَسِتَّةُ أَشْهُرٍ وَخِلَافَةُ عُثْمَانَ ثِنْتَا عَشْرَةَ سَنَةً وَسِتَّةُ أَشْهُرٍ ثُمَّ خِلَافَةُ عَلِيٍّ تَكْمِلَةُ الثَّلَاثِينَ قُلْتُ: فَمُعَاوِيَةُ؟ قَالَ: كَانَ أَوَّلَ الْمُلُوكِ"(١).

ثالثها: ملك، ومدتها سبعون سنة؛ قال صلى الله عليه وسلم: «تَدُورُ رَحَى الْإِسْلَامِ بِخَمْسٍ وَثَلَاثِينَ، أَوْ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ، أَوْ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ، فَإِنْ يَهْلَكُوا، فَسَبِيلُ مَنْ قَدْ هَلَكَ، وَإِنْ يَقُمْ لَهُمْ دِينُهُمْ، يَقُمْ لَهُمْ سَبْعِينَ عَامًا»(٢)، وزاد الطبراني والخطابي: "فَقَالُوا: سِوَى مَا مَضَى"، قَالَ: «نَعَمْ»(٣)، واذا حسبت المدة منذ ولي معاوية رضي الله عنه الخلافة سنة أربعين الى ان قُتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة ست وعشرين ومائة وجدتها ستا وثمانين سنة، واذا حذفت منها المدة التي بين يزيد بن معاوية سنة ستين الى ان استقرت الخلافة لعبدالملك بن مروان سنة ثلاث وسبعين صفيت على ثلاث وسبعين سنة فينطبق عليها

(١) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده [١٢٠٣]، والترمذي في كتاب الفتن باب ما جاء في الخلافة [٢٢٢٦] وقال: "حديث حسن"، وقال محقق مسند أبي داود: "حديث صحيح".

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده [٣٧٣٠]، وأبو داود في كتاب الفتن او الملاحم باب ذكر الفتن ودلائلها [٤٢٥٤]، وقال محققو المسند:" حديث حسن".

(٣) ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٢١٣/١٣ وبحثت عنها فلم اجدها، واما بقيت الروايات فكانت تنص على ما بقي أي من السبع والثلاثين ويمكن تفسيرها على الفتوحات العظيمة وانسياح الجيوش الإسلامية فإنها كانت بداية من العام ١٢هـ واستمرت الى وفاة الوليد بن عبد الملك عام ٩٦هـ واما ما بعدها فكانت فتوحات يسيرة وإذا حذفت الفترة من سنة ٦٤هـ الى ٧٣هـ صفت لك ٧٠ سنة كما أخبر عليه الصلاة والسلام.

الحديث السابق، والمراد بقيام دينهم أي استقامته واستمراره في الاعم الاغلب؛ لأنه مكمل لدوران رحى الإسلام حيث فسرت بذلك(١).

وأفاد حديث سفينة رضي الله عنه السابق في لفظ ان الخلفاء والملوك اثنا عشر في هذه المرحلة «الْخِلَافَةُ ثَلَاثُونَ سَنَةً، وسائِرهُمْ مُلوكٌ، والخُلفاءُ والملوكُ اثْنا عَشَرَ»(٢).

المطلب الثاني: مرحلة الضعف.

بدأ الضعف بحدوث الفتنة بقتل عثمان رضي الله عنه حيث وقعت الفتنة العظيمة بالقتال الذي وقع بين الأمة، ثم توحدت الأمة عام الجماعة، ولكن كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «فِيهِ دَخَنٌ» وهو الحقد وفساد القلب فليس هو بخير خالصا بل فيه كدر(٣)، فكانت الأمة تتوحد سياسيا، ثم يقع بينها نزاع، لكن كانت الجماعة تتوحد على إمام واحد، حتى استحكم هذا الدخن واستقر في النفوس فقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك فاضطربت الأمور واستطاع بنو العباس القضاء على دولة بني امية في سنة ١٣٢هـ وإقامت دولتهم، ومظاهر الضعف هنا يتمثل في امرين:

الأول: لم تتوحد الامة بعدها على خليفة واحد حيث انفصلت الأندلس بدخول عبد الرحمن الداخل إليها واستيلائه على إمارتها في سنة ١٣٨هـ(٤)، وتوالى انفصال أجزاء الأمة سياسيا، فلم يعد يملك الخليفة العباسي الا بغداد وأصبح فقط اسما لا يملك من تدبير أمور الخلافة شيئا، وتعدد الخلفاء في الزمن الواحد ففي الاندلس في المائة الخامسة وجد ستة انفس كلهم تسمى بالخلافة(٥).

الثاني: تغير شعار الدولة تدريجيا من العربية الى الفارسية(٦)، فتم اقصاء العرب وتحجيم دورهم، وهذا من النقص وسببه راجع الى ترك الخلافة التي على منهج النبوة

---

(١) انظر: شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن ابي داود، ٢٣٠/١١، ويوجد تفسير غير ما ذكرته.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه [٦٦٥٧]، ونقل عن ابن أبي حاتم ترتيب هؤلاء وانهم على التوالي لكن ذكر انهم ينتهون بعمر بن عبد العزيز وهو مشكل هنا لأنه ادخل فيهم يزيد بن معاوية وابنه معاوية ومروان بن الحكم وهؤلاء لا تنطبق عليهم الصفات الواردة في روايات حديث سمرة رضي الله عنه.

(٣) انظر: فتح الباري ٣٦/١٣.

(٤) انظر: الحجي، التاريخ الاندلسي، ٢٢٧.

(٥) انظر: فتح الباري، ٢١٢/١٣، والتاريخ الاندلسي، ٣٤٧.

(٦) انظر: علي العمرو، أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول، ٧٧.

والانتقال الى الملكية وهذا من سنن الله في خلقه، وقد أشارت الى هذا المعنى رواية في صحيح البخاري(١) فعَنْ جَرِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: "كُنْتُ بِاليَمَنِ، فَلَقِيتُ رَجُلَيْنِ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ، ذَا كَلاَعٍ، وَذَا عَمْرٍو، فَجَعَلْتُ أُحَدِّثُهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ: ذُو عَمْرٍو: لَئِنْ كَانَ الَّذِي تَذْكُرُ مِنْ أَمْرِ صَاحِبِكَ، لَقَدْ مَرَّ عَلَى أَجَلِهِ مُنْذُ ثَلاَثٍ، وَأَقْبَلاَ مَعِي حَتَّى إِذَا كُنَّا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ، رُفِعَ لَنَا رَكْبٌ مِنْ قِبَلِ المَدِينَةِ فَسَأَلْنَاهُمْ، فَقَالُوا: قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ، وَالنَّاسُ صَالِحُونَ، فَقَالاَ: أَخْبِرْ صَاحِبَكَ أَنَّا قَدْ جِئْنَا وَلَعَلَّنَا سَنَعُودُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَرَجَعَا إِلَى اليَمَنِ، فَأَخْبَرْتُ أَبَا بَكْرٍ بِحَدِيثِهِمْ، قَالَ: أَفَلاَ جِئْتَ بِهِمْ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدُ قَالَ لِي ذُو عَمْرٍو: يَا جَرِيرُ إِنَّ بِكَ عَلَيَّ كَرَامَةً، وَإِنِّي مُخْبِرُكَ خَبَرًا: إِنَّكُمْ مَعْشَرَ العَرَبِ، لَنْ تَزَالُوا بِخَيْرٍ مَا كُنْتُمْ إِذَا هَلَكَ أَمِيرٌ تَأَمَّرْتُمْ فِي آخَرَ، فَإِذَا كَانَتْ بِالسَّيْفِ كَانُوا مُلُوكًا، يَغْضَبُونَ غَضَبَ المُلُوكِ وَيَرْضَوْنَ رِضَا المُلُوكِ"، ومعنى تأمرتم: أي تشاورتم فاقمتم اميرا منكم عن رضا(٢)، فوقع ما اخبر به فانشغل العرب في القتال بينهم على الملك وتخلوا عن مهمتهم الأساسية في نشر الإسلام فأدال الله عليهم، وقد تنبه لهذا بعض امراء بني امية في خراسان وهو نصر بن سيار فقال:

أَبْلِغْ رَبِيعَةَ فِي مَرْوٍ وَفِي يَمَنٍ ... أَنِ اغْضَبُوا قَبْلَ أَنْ لَا يَنْفَعَ الْغَضَبُ
مَا بَالُكُمْ تُنْشِبُونَ الْحَرْبَ بَيْنَكُمُ ... كَأَنَّ أَهْلَ الْحِجَى عَنْ رَأْيِكُمْ غُيُبُ
وَتَتْرُكُونَ عَدُوًّا قَدْ أَحَاطَ بِكُمْ ... مِمَّنْ تَأَشَّبَ لَا دِينٌ وَلَا حَسَبُ
لَا عَرَبَ مِثْلُكُمُ فِي النَّاسِ نَعْرِفُهُمْ ... وَلَا صَرِيحَ مَوَالٍ إِنْ هُمُ نُسِبُوا
مَنْ كَانَ يَسْأَلُنِي عَنْ أَصْلِ دِينِهِمُ ... فَإِنَّ دِينَهُمُ أَنْ تَهْلِكَ الْعَرَبُ
قَوْمٌ يَقُولُونَ قَوْلًا مَا سَمِعْتُ بِهِ ... عَنِ النَّبِيِّ وَلَا جَاءَتْ بِهِ الْكُتُبُ(٣)

ووقع ما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم : «وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ»(٤)، وبدأت الأمم تتداعى على هذه الأمة، إلى أن وصلنا إلى زمننا هذا الذي ما بقيت فيه امة إلا

(١) في كتاب المغازي باب ذهاب جرير الى اليمن [٤٣٥٩].

(٢) انظر: فتح الباري ٧٧/٨، وذكر ان هذا لا يكون الا عن كتاب؛ أي كلام ذي عمرو.

(٣) انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٢٠٤/٤.

(٤) رواه مسلم في كتاب الفتن باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب [٢٨٩٦]، وراجع في معنى الحديث دلائل النبوة للبيهقي ٣٢٩/٦، وشرح النووي على مسلم ٢٠/١٨.

وثبت علينا، فأصبح دم المسلم ارخص دم، وماله منتهب، وعرضه منتهك على مرأى ومسمع من إخوانه المسلمين، فلا مجيب ولا مجير ولا نخوة ولا همة، فلا حول ولا قوة إلا بالله، فصدق علينا قول نبينا صلى الله عليه وسلم: «يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ، قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهَنُ؟، قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»(١)، فأصبحنا كما قال الحطيئة:

دعَ المَكارِمَ لا تَرْحل لبُغْيتها ... واقعُدْ فإنَّكَ أنتَ الطَّاعمُ الكاسي(٢)

ومع هذا الضعف السياسي أصبحت الغربة في الدين أشد مع تعاقب الفتن سواء ما كان منها في جانب الشهوة أو جانب الشبهة.

المطلب الثالث: مرحلة القوة المستقبلية.

وعود الله لهذه الأمة بالقوة نوعان:

وعود عامة: وهي النصوص الشرعية التي فيها وعد لهذه الأمة بالنصر والتمكين؛ كقوله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}[النور ٥٥] وقوله عز وجل: {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ}[الروم ٤٧] وقوله سبحانه: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ}[غافر ٥١]، وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّكُمْ مَنْصُورُونَ وَمُصِيبُونَ وَمَفْتُوحٌ لَكُمْ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ وَلْيَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَلْيَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»(٣)، فهذه وعود من الله ورسوله؛ ولن يخلف الله ورسوله وعدهما، وقد تحقق لأول الأمة

(١) رواه أبو داود في كتاب الملاحم باب في تداعي الأمم على الإسلام [٤٢٩٧]، والإمام أحمد في مسنده [٨٧١٣] وقال محققو المسند: "حسن لغيره".

(٢) انظر: المبرد، الكامل، ١٤٠/٢.

(٣) رواه الترمذي في كتاب الفتن [٢٢٥٧] وقال: "حديث حسن صحيح"، والإمام أحمد في مسنده [٣٨٠١]، وقال محققو المسند: "إسناده حسن".

وسيتحقق لأخرها بإذن الله عز وجل؛ وذلك أن "عهود الله في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم تنال آخر الأمة كما نالت أولها"(١).

وعود خاصة: وهي النصوص الشرعية التي تخبر ان هذه الامة ستملك الأرض، وعلى عودة الخلافة الراشدة، وعلى فتح بعض البلدان التي لم تفتح بعد، فعَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا»(٢)، فتحقق هذا فلم تنقضي المائة سنة من الهجرة النبوية إلا وقد بلغت جيوش الإسلام مشارق الارض ومغاربها في ذلك الزمان، وسيبلغ حكم الإسلام أبعد من ذلك فعن الْمِقْدَادَ بْنِ الأَسْوَدِ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «لاَ يَبْقَى عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ بَيْتُ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ كَلِمَةَ الإِسْلاَمِ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ ذُلِّ ذَلِيلٍ إِمَّا يُعِزُّهُمُ اللَّهُ فَيَجْعَلُهُمْ مِنْ أَهْلِهَا أَوْ يُذِلُّهُمْ فَيَدِينُونَ لَهَا»(٣)، فهذا الحديث غير مقيد بشرق ولا غرب وإنما كل بيت على وجه الأرض وهذا لم يأت بعد، وحديث: «تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ خِلاَفَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ مُلْكاً عَاضًّا فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ مُلْكاً جَبْرِيَّةً فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ خِلاَفَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ»(٤)، فهذه بشارة بعودة الخلافة التي على منهاج النبوة، وفي احاديث المهدي(٥)؛ كحديث: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ

(١) ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٤٢٥/٢٨.

(٢) رواه مسلم في كتاب الفتن باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض [٢٨٨٩].

(٣) رواه الإمام احمد في مسنده [٢٣٨١٤] وابن حبان في صحيحه [٦٦٩٩] وقال محققو المسند: "إسناده صحيح".

(٤) سبق تخريجه.

(٥) انظر: موسوعة أحاديث الفتن واشراط الساعة ٦٧٠.

الدَّهْرِ إِلَّا يَوْمٌ، لَبَعَثَ اللَّهُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يَمْلَؤُهَا عَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا»(١)، وسُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلًا: قُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَدِينَةُ هِرَقْلَ تُفْتَحُ أَوَّلًا» يَعْنِي قُسْطَنْطِينِيَّةَ(٢)، وقد فتحت القسطنطينية وبقيت روما.

(١) رواه أبو داود في كتاب المهدي [٤٢٨٣]، والإمام احمد في مسنده [٧٧٣] وقال محققو المسند: "رجاله ثقات رجال الشيخين غير فطر بن خليفة فله حديث واحد عند البخاري مقروناً بغيره".

(٢) رواه الامام احمد في مسنده [٦٦٤٥]، والحاكم في المستدرك في كتاب الفتن والملاحم [٨٦٦٢] وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، وقال محققو المسند: "إسناده ضعيف".

المبحث الثالث: معالم تحقيق مستقبل الأمة السياسي.

النبي صلى الله عليه وسلم أخبر وهو الصادق الأمين بأن الإسلام ستكون له الكلمة في الأرض بحيث يدين لها الناس، وان الخلافة التي على منهاج النبوة ستعود، ولا شك أن هذا الوعد لابد أن يكون جاريا على السنن الكونية؛ فنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو افضل الخلق وسيد المرسلين كان جهاده ودعوته وفق السنن الكونية(١)، فعن أَوْسِ بْنِ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ فِي الْوَفْدِ الَّذِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْلَمُوا مِنْ ثَقِيفٍ مِنْ بَنِي مَالِكٍ أَنْزَلَنَا فِي قُبَّةٍ لَهُ فَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَيْنَا بَيْنَ بُيُوتِهِ وَبَيْنَ الْمَسْجِدِ فَإِذَا صَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ انْصَرَفَ إِلَيْنَا فَلَا يَبْرَحُ يُحَدِّثُنَا وَيَشْتَكِي قُرَيْشًا وَيَشْتَكِي أَهْلَ مَكَّةَ ثُمَّ يَقُولُ: «لَا سَوَاءَ كُنَّا بِمَكَّةَ مُسْتَذَلِّينَ أَوْ مُسْتَضْعَفِينَ فَلَمَّا خَرَجْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ كَانَتْ سِجَالُ الْحَرْبِ عَلَيْنَا وَلَنَا»،(٢) ولما أصاب أصحابه القتل في معركة أحد تعجبوا من ذلك فقالوا: أنى هذا؟ فكان الجواب من الله تعالى: {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران ١٦٥] فما اصابنا فمنا، فواقعنا مؤلم ولابد من تغييره، والله عز وجل قد جعل لكل شيء سببا، فعلى المصلحين الموقنين بهذا الوعد العمل على تحقيق هذه الأسباب وجلبها، وهذا يبين العلاقة بين الاستشراف وسنِّ الأنظمة، فالأمم انما ترتقي بنظرتها

(١) انظر: مقدمة ابن خلدون دار الباز للنشر والتوزيع الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ ١٥٩ حيث يقول: "ومن هذا الباب أحوال الثوار القائمين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء فإن كثيرا من المنتحلين للعبادة وسلوك طرق الدين يذهبون إلى القيام على أهل الجور من الأمراء داعين إلى تغيير المنكر والنهي عنه والأمر بالمعروف رجاء في الثواب عليه من الله فيكثر أتباعهم والمتلثلثون بهم من الغوغاء والدهماء ويعرضون أنفسهم في ذلك للمهالك وأكثرهم يهلكون في هذا السبيل مأزورين غير مأجورين لأن الله سبحانه لم يكتب ذلك عليهم وإنما أمر به حيث تكون القدرة عليه قال صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه» وأحوال الملوك والدول راسخة قوية لا يزحزحها ويهدم بناءها إلا المطالبة القوية التي من ورائها عصبية القبائل والعشائر كما قدمناه، وهكذا كان حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم إلى الله بالعشائر والعصائب وهم المؤيدون من الله بالكون كله لو شاء، لكنه إنما أجرى الأمور على مستقر العادة والله حكيم عليم"، وانظر في خصائص السنن الكونية بحث: "السنن الإلهية في القرآن الكريم ودورها في استشراف المستقبل" ٧ وما بعدها.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده [١٦١٦٦] وأبو داود في كتاب الصلاة باب تحزيب القرآن[١٣٩٣] وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب في كم يستحب يختم القرآن[١٣٤٥] وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود ١٣٥، وضعف إسناده محققو مسند الإمام أحمد.

المستقبلية المبنية على النظرة الحالية، فالمستشرف بناء على المعطيات الحالية يستشرف ان مستقبل الامة يكون كذا، فإن كان هذا الاستشراف للمستقبل سلبيا وضع المعالم التي تعين على تلافي هذه السلبيات وتحقيق الإيجابيات، ولا شك ان واقعنا يدل على ان مستقبلنا ان ظللنا على هذه الوضعية سيكون مظلما، وفائدة هذه المعالم انها تعين واضع الأنظمة على تحقيق ما يريده الشرع من جلب المصالح وتحقيقها بقدر الإمكان، ودرء المفاسد وتقليلها بقدر الإمكان، وهذه قاعدة فقهية كلية، الشريعة قائمة عليها(١)، و"تُحْدَثُ لِلنَّاسِ أَقْضِيَةٌ بِقَدْرِ مَا أَحْدَثُوا مِنْ الْفُجُورِ"(٢)، فيوضع للناس القدر الكافي الذي ييسر امورهم ويرفع عنهم الحرج ويحقق المطلوب من وضع الانظمة(٣)، فالمستشرف يرسم المعالم، ويضع الأهداف لتحقيق الغاية المستشرفة، والمنظم يعمل على تحقيق هذه الأهداف وصولا للغاية المقصودة(٤).

ولابد من أخذ العبرة من الماضي، فماض الأمة مر بمراحل قوة وضعف، ودراسة هذه المراحل مهمة في استخلاص أسباب القوة ومسببات الضعف، فالله عز وجل انما قص علينا قصص من قبلنا لتكون عبرة لنا، فإن لم نعتبر بها ونستخلص منها المعالم التي تعيننا لتحقيق مستقبلنا الموعود به فلا فائدة إذاً من سردها، فصلاح هذه الأمة في آخر زمانها لن يكون إلا بما صلحت عليه في أول زمانها، فنشبه حالنا بحالهم ونقيس أواخر الأمم بأوائلها {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ} [يوسف ١١١]، وقال تعالى في قصة معركة بدر: {قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي

(١) انظر في هذه القاعدة معناها وادلتها: القواعد والضوابط الفقهية للمعاملات المالية عند ابن تيمية جمعا ودراسة لعبد السلام الحصين ١٣٩/١.

(٢) لم أجد هذه المقولة مسندة إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى بحسب المراجع التي رجعت إليها، لكن هذه المقولة موجودة في كتب الفقهاء وغيرهم منسوبة إليه وإلى غيره. انظر: ابن رشد، المقدمات الممهدات، ٣٠٩/٢، والقرافي، الذخيرة، ١٢٢/١٢، والطرابلسي، معين الحكام، ١٧٧، وابن القيم، الطرق الحكمية، ٥٥٦/٢، وعبد العزيز بن سطام، سياسة عمر بن عبد العزيز في سن الأنظمة بناء على قوله: "تحدث للناس اقضية...".

(٣) انظر: عبد العزيز بن سطام، سياسة عمر بن عبد العزيز في سن الأنظمة بناء على قوله: "تحدث للناس اقضية...".

(٤) انظر: الصلابي، الإصلاح والأخلاق.

الْأَبْصَارِ} [آل عمران ١٣] فأمرنا عز وجل ان نعتبر بأحوال المتقدمين علينا من هذه الأمة، وممن قبلنا من الأمم(١).

ومن هذا المنطلق ستكون أربعة معالم يمكن وضع الخطوط العريضة لها والتي تعين المنظم من خلالها على وضع الأنظمة التي تساعد على تحقيق الغاية المقصودة؛ فيكون هذا المبحث في أربعة مطالب:

المطلب الأول: رفع الظلم.

هذا أول المعالم واهمها فالله عز وجل لا يظلم الناس {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [يونس ٤٤] فالعبد انما يظلم نفسه سواء في علاقته مع ربه، او مع الآخرين، وبالظلم في هاتين العلاقتين يكون الهلاك؛ فالأمم السابقة اهلكها الله عز وجل بسبب الشرك، وهذا من ظلم الناس لأنفسهم في علاقتهم مع ربهم، واهلكها بسبب ظلمها للآخرين؛ كما في قصة قوم شعيب عليه السلام في بخسهم الكيل والميزان، ووقع من هذه الأمة ظلم فاستحقت بها بعض الهلاك؛ وذلك ان الله عز وجل اختص هذه الامة بأنه لا يهلكها عامة كما في الأمم السابقة قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ»(٢)، قال تعالى: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} [الشورى ٣٠] فما اصاب الصحابة رضي الله عنهم يوم أحد فبما كسبت أيديهم وهلم جرا، وما اصابنا من فتنة التتار فبسبب اعتدائنا وابتدائنا بالظلم(٣)، وما تأخر صلاح الدين رحمه الله في تحرير بيت المقدس وعدم استطاعته

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٤٢٦/٢٨.

(٢) رواه مسلم في كتاب الفتن باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض [٢٨٨٩].

(٣) ذكر ابن بطوطة في كتابه (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) ٢٠/٣ : "كان جنكيز خان حدادا بأرض الخطا، وكان له كرم نفس وقوة وبسطة في الجسم، وكان يجمع الناس ويطعمهم، ثم صارت له جماعة فقدموه على أنفسهم، وغلب على بلده وقوي واشتدت شوكته واستفحل أمره فغلب على ملك الخطا، ثم على ملك الصين، وعظمت جيوشه وتغلب على بلاد الختن وكاشغر والمالق، وكان جلال الدين سنجر بن خوارزم شاه ملك خوارزم وخراسان وما وراء النهر له قوة عظيمة وشوكة، فهابه جنكيز وأحجم عنه ولم يتعرض له فاتفق أن بعث جنكيز تجارا بأمتعة الصين والخطا من الثياب الحريرية وسواها إلى بلدة أطرار بضم الهمزة، وهي آخر عمالة جلال الدين، فبعث إليه عامله عليها معلما بذلك واستأذنه ما يفعل في أمرهم فكتب إليه يأمره أن=

تحرير بقية ساحل الشام الا بسبب ظلم المسلمين في ذلك الوقت وعدل اعدائهم من النصارى(١)، فعاقبة الظلم وخيمة وعاقبة العدل كريمة ولهذا يروى: "الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة"(٢)، فبالعدل تعمر

=يأخذ أموالهم ويمثل بهم، ويقطع أعضاءهم ويردهم إلى بلادهم لما أراد الله تعالى من شقاء أهل بلاد المشرق ومحنتهم رأيا فائلا وتدبيرا سيئا مشئوما، فلما فعل ذلك تجهز جنكيز بنفسه في عساكر لا تحصى كثرة برسم غزو بلاد الإسلام...وأتى جلال الدين بنفسه لمحاربته فكانت بينهم وقائع لا يعلم في الإسلام مثلها، وآل الأمر إلى أن تملك جنكيز ما وراء النهر وخرب بخارى وسمرقند وترمذ، وعبر النهر...وانتهى أمر التتر حتى دخلوا حضرة الإسلام ودار الخلافة بغداد بالسيف وذبحوا الخليفة المستعصم بالله العباسي رحمه الله"، وانظر: الكامل في التاريخ ٣٢٩/٩.

(١) ذكر ذلك شاهد من ذلك العصر وهو ابن جبير رحمه الله تعالى في كتابه (رحلة ابن جبير) ٢٧٥/١ حيث وصف حال بلاد الشام بشقيها الواقع في ملك النصارى والواقع في ملك المسلمين فقال: "ورحلنا من تبنين، دمرها الله، سحر يوم الاثنين، وطريقنا كله على ضياع متصلة وعمائر منتظمة، سكانها كلها مسلمون، وهم مع الافرنج على حالة ترفيه، نعوذ بالله من الفتنة، وذلك أنهم يؤدون لهم نصف الغلة عند أوان ضمها وجزية على كل رأس دينار وخمسة قراريط ولا يعترضونهم في غير ذلك، ولهم على ثمر الشجر ضريبة خفيفة يؤدونها أيضا، ومساكنهم بأيديهم وجميع أحوالهم متروكة لهم، وكل ما بأيدي الافرنج من المدن بساحل الشام على هذه السبيل، رساتيقهم كلها للمسلمين، وهي القرى والضياع، وقد اشربت الفتنة قلوب اكثرهم لما يبصرون عليه اخوانهم من أهل الرساتيق المسلمين وعمالهم، لانهم على ضد أحوالهم من الترفيه والرفق، وهذه من الفجائع الطارئة على المسلمين: أن يشتكي الصنف الاسلامي جور صنفه المالك له، ويحمد سيرة ضده وعدوه المالك له من الافرنج، ويأنس بعدله، فإلى الله المشتكى من هذه الحال، وحسبنا تعزية وتسلية ما جاء في الكتاب العزيز: {إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ} [الأعراف ١٥٥]"، وذكر شيخ الإسلام رحمه الله تعالى سبب هزيمة المسلمين من التتر في عهده فقال: " وكانت هزيمة المسلمين في العام الماضي بذنوب ظاهرة وخطايا واضحة: من فساد النيات والفخر والخيلاء والظلم والفواحش والإعراض عن حكم الكتاب والسنة وعن المحافظة على فرائض الله والبغي على كثير من المسلمين الذين بأرض الجزيرة والروم"، فتاوى شيخ الإسلام ٤٣١/٢٨ وينظر بقية ما ذكره حيث عقد مقارنة لحال المسلمين في زمنه وحال المسلمين في غزوة الأحزاب وهي مقارنة تستحق القراءة بتأمل واستنتاج قواعد منها مهمة يسترشد بها الداعي في تغيير الواقع.

(٢) ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٦٣/٢٨ وبحثت عنه في المصادر المتوفرة عندي فلم اجده.

الأرض فمن خرب الأرض فقد ظلم غيره(١)، فالله عز وجل يؤخر نصر المسلمين بسبب الظلم الواقع منهم، ولئن في نصرهم مع هذا الظلم فساد للدين والدنيا(٢).

وإذا نظرت الى واقع المسلمين في هذا الزمن رأيت الظلم ضاربا بأطنابه في هذين الشقين، فلابد أولا من رفع الظلم عن النفس البشرية؛ وذلك بتحريرها من كل شبهة شرك في ألوهية أو ربوبية قد تؤثر على هذا الوجدان فتخضعه لمخلوق من عباد الله؛ وإن كان نبيا أو رسولا؛ فإنه عبد من عباد الله لا إله، فمجاوزة الحد في التعظيم هو الذي يحول المخلوق من عبوديته لله إلى عبادة مخلوق مثله، فعندنا غلو في الأحياء أو الأموات بتعظيم القبور والبناء عليها وهو غلو مذموم يفضي إلى الشرك(٣)، ولهذا حرص الإسلام على سد هذا الطريق فمنع مجاوزة الحد في تعظيم الصالحين؛ قال تعالى: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ} [آل عمران ١٢٨] {قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلا رَشَداً قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً} [الجن ٢٠-٢٢] {قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً} [المائدة ١٧] فالمقصود بهذا نبيين كريمين من أولي العزم نبينا محمد وعيسى عليهما الصلاة والصلاة فهما ليس لهما من الأمر شيء، ولا يملكان ضرا ولا رشدا، ولا يملكان من أمرهما شيء؛ فكيف بمن هو دونهما؛ فاعتبروا يا أولي الأبصار!، ونهى عن البناء على القبور(٤) واتخاذها مساجد؛ بالصلاة عندها؛

---

(١) انظر: الماوردي، أدب الدنيا والدين، ١٦٨: "الأدب أدبان: أدب شريعة وأدب سياسة، فأدب الشريعة ما أدى الفرض، وأدب السياسة ما عمر الأرض، وكلاهما يرجع إلى العدل الذي به سلامة السلطان، وعمارة البلدان؛ لأن من ترك الفرض فقد ظلم نفسه، ومن خرب الأرض فقد ظلم غيره".

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٤٣٢/٢٨.

(٣) انظر: ابن عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، ٣٢٨.

(٤) البناء على القبور من المسائل التي اتفق الفقهاء على منعه، انظر: الإمام الشافعي، الأم، ٣١٦/١: "وأحب أن لا يبنى ولا يجصص فإن ذلك يشبه الزينة والخيلاء وليس الموت موضع واحد منهما ولم أر قبور المهاجرين والأنصار مجصصة...وقد رأيت من الولاة من يهدم بمكة ما يبنى فيها فلم أر الفقهاء يعيبون ذلك"، والكاساني الحنفي، بدائع الصنائع، ٣٢٠/١: "ويكره تجصيص القبر وتطيينه وكره أبو حنيفة البناء على القبر وأن يعلم بعلامة"، وابن شاس المالكي، عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة، ٢٧١/١: "ولا يرفع القبر إلا بقدر شبر ولا يجصص ولا يطين"، والخطيب الشافعي، مغني المحتاج، ٣٦٤/١: "ويكره تجصيص القبر والبناء عليه كقبة أو بيت للنهي عنهما في صحيح مسلم"، والفتوحي الحنبلي، منتهى الإرادات، ١١٦/١: "وسن رفعه قدر شبر وكره فوقه وزيادة ترابه وتزويقه وتخليقه ونحوه وتجصيصه"، وصديق خان، الروضة الندية شرح الدرر=

فعَنْ أَبِى الْهَيَّاجِ الأَسَدِىِّ قَالَ: قَالَ لِى عَلِىُّ بْنُ أَبِى طَالِب رضي الله عنه: أَلاَّ أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم أَنْ لاَ تَدَعَ تِمْثَالاً إِلاَّ طَمَسْتَهُ وَلاَ قَبْرًا مُشْرِفًا إِلاَّ سَوَّيْتَهُ(١)، وقَالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»(٢)، وقال ربعي بن عامر رضي الله عنه لرستم لما سأله عن سبب مجيئهم: "اللهُ ابْتَعَثَنَا، وَاللهُ جَاءَ بِنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ، وَمِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا إِلَى سَعَتِهَا، وَمِنْ جَوْرِ الأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الإِسْلاَمِ"(٣)، وبتحقيق هذه العقيدة تنتفي الوسائط بين الله وعباده جميعا فلا كهانة ولا وساطة بل يتصل كل فرد صلة مباشرة بخالقه، فيتصل الضعيف الفاني بالقوي الباقي، فيستمد منه القوة والعزة والشجاعة، ويشعر برحمة الله وعنايته وعطفه، فيشتد إيمانه وتقوى معنويته(٤)، فبذلك يصل العبد إلى أعلى مراتب الإسلام؛ وهو الإحسان «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»(٥)، والوصول إلى هذه المرتبة يحتاج إلى تجرد تعلق القلب من كل مخلوق فلا يكون تعلقه إلا بالله بحيث يصرف كل أنواع العبادة لله، وأن يكون ذكره لله عز وجل في أعلى المقامات، فبذكر الله يطمئن القلب وبه تكون الراحة وإليه المفزع فقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر قال: «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ

=البهية، ٢٦٦/١: "ولا يرفع القبر زيادة على شبر...فما صدق عليه أنه قبر مرفوع أو مشرف لغة فهو من منكرات الشريعة التي يجب على المسلمين إنكارها وتسويتها من غير فرق بين نبي وغير نبي وصالح وطالح"، والمعلمي الشافعي، عمارة القبور، ١٤٧: "الهيئة المشروعة فيما يتصل بالقبر هي ما كان في عهده صلى الله عليه وسلم وقد عُلم أنه لم يكن يُبنى على القبور بناء واسع ولا يُبنى بناء لتجعل القبور فيه...ولا كانت توضع أستار على القبور ولا تنصب عليها الرايات وغير ذلك فالهيئة المشروعة عدم هذه الأشياء فهذه الأشياء ونحوها بدعة ضلالة"، وابن معمر، الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب، ٦٦.

(١) رواه مسلم في كتاب الجنائز باب الأمر بتسوية القبر [٩٦٩].

(٢) متفق عليه، البخاري في كتاب الجنائز باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور [١٣٣٠]، ومسلم في كتاب المساجد باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد [٥٢٩].

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٥٢٠/٣.

(٤) انظر: قطب، العدالة الاجتماعية، ٨٨.

(٥) متفق عليه، البخاري في كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة [٥٠]، ومسلم في كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى [١٠].

الْكَرِيمِ»(١)، وكان يفزع إلى الصلاة(٢)، فالالتزام بهذه الأمور من الضرورات، وحاجة الجسم لها مثل حاجته إلى الأكل والشرب بل أعظم؛ وتدبر قوله تعالى: {وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [القصص ٨٨] فنهى عن دعاء غير الله؛ والسبب انه لا إله مستحق العبادة إلا الله عز وجل، وبيان استحقاقه لها أن كل شيء يهلك إلا هو سبحانه فلماذا ندعوا الهالك وندع الباقي؟، وأن له الحكم فلا يطلب الحكم من غيره، وأخيرا الرجوع إليه سبحانه؛ فلماذا نطلب وندعو غيره والكل رجوعه إليه سبحانه.

واذا تحقق هذا تحقق المقصود الثاني وهو رفع الظلم الواقع فيما بيننا وبين غيرنا حتى وان كانوا من الأعداء قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ»(٣)، وأوصى عمر رضي الله عنه سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه بالعدل مع اعدائه فقال: "الوفاء الوفاء؛ فإن الخطأ بالوفاء بقية، وان الخطأ بالغدر الهلكة، وفيها وهنك وقوة عدوكم، وذهاب ريحكم، وإقبال ريحهم"(٤).

المطلب الثاني: نصر الدين.

الله عز وجل يأتي بالنصر إذا نحن نصرنا دينه في أنفسنا وأهلينا ومجتمعنا؛ قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [محمد: ٧]، فمتى قمنا بهذا الدين وحققنا كلمة التوحيد تحقق لنا بإذن الله النصر وملكنا الأرض؛ فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: مَرِضَ أَبُو طَالِبٍ فَجَاءَتْهُ قُرَيْشٌ وَجَاءَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَشَكَوْهُ إِلَى أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي مَا تُرِيدُ مِنْ قَوْمِكَ، قَالَ: «إِنِّي أُرِيدُ مِنْهُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ وَتُؤَدِّي إِلَيْهِمُ الْعَجَمُ الْجِزْيَةَ»، قَالَ: كَلِمَةً وَاحِدَةً،

(١) متفق عليه، البخاري في كتاب الدعوات باب الدعاء عند الكرب [٦٣٤٥]، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء باب دعاء الكرب [٢٧٣٠].

(٢) عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى. رواه أبو داود في كتاب الصلاة باب وقت قيام النبي صلى الله عليه وسلم من الليل [١٣١٩].

(٣) رواه الإمام احمد في مسنده [١٥٤٢٤]، والترمذي في كتاب البيوع [١٢٦٤] وقال: "حديث حسن غريب"، وقال محققو المسند: "حسن لغيره".

(٤) انظر: تاريخ الأمم والملوك ٤٩٢/٣.

قَالَ: « كَلِمَةً وَاحِدَةً». قَالَ: «يَا عَمِّ قُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ»(١)، فيجب على الأمة الالتزام بالإسلام قولا وعملا بكل جزئياته؛ وقد عاب الله عز وجل على من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض وبين حكمهم {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [البقرة ٨٥].

فالنقص الذي حصل للأمة سياسيا يرجع في المقام الأول إلى النقص الحاصل لدى الناس في أمور دينهم(٢)، ويؤكد هذا أن الأحاديث التي تكلمت عن ضعف الأمة سياسيا تربط ذلك بنقص الدين لدى أفراد الأمة: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»(٣)، «حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِى رَأْىٍ بِرَأْيِهِ»(٤)، فهذه الصفات الذميمة موجودة في أفراد الأمة، ويضاف إليها قوله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلاًّ لاَ يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»(٥)، فهذه الأمور مانعة للهمة المطلوبة للرقي والوصول إلى أعلى القمم، وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن نقض عُرى الإسلام فقال: «لَيُنْقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا وَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ»(٦)، "ولا يكون هذا إلا مع قلة الخير وتكاثر الشر شيئا بعد شيء"(٧)، وهذا الانتقاض أمر مشاهد على مستوى الدولة

---

(١) رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة (ص) [٣٢٣٢] وقال: "حديث حسن صحيح"، والإمام أحمد في مسنده [٢٠٠٨]، والنسائي في الكبرى في كتاب التفسير سورة (ص) [١١٣٧٢]، وقال الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه لمسند الإمام أحمد [٢٠٠٨]: "إسناده صحيح"، وقال الألباني في ضعيف سنن الترمذي ٤٠٩: "ضعيف الإسناد"، وقال محققو المسند: "إسناده ضعيف".

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ٢٠/٣٥.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) رواه أبو داود في كتاب الملاحم باب الأمر والنهي [٤٣٤١]، والترمذي في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة المائدة [٣٠٥٨] وقال: "حديث حسن غريب".

(٥) رواه أبو داود في كتاب البيوع والإجارات باب في النهي عن العينة [٣٤٥٤]، والإمام احمد في مسنده [٤٨٢٥] وقال محققو المسند: "إسناده ضعيف".

(٦) رواه الإمام أحمد في مسنده [١٨٠٣٩]، والحاكم في المستدرك كتاب الاحكام [٧٠٢٢] وقال: "الإسناد كله صحيح ولم يخرجاه"، ولم يوافقه الذهبي، وقال محققو المسند: "حسن لغيره".

(٧) الموافقات في أصول الشريعة، ٩٧/١.

والأفراد(١)، فمع هذا الضعف في الدين لدى الأمة تتسلط عليها الولاة؛ فكما تكونوا يول عليكم؛ قال تعالى:{وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ} [الأنعام ١٢٩].

ومن الأمور التي تعيد الناس الى دينهم أمرهم بالاتباع وعدم الابتداع؛ فالله عز وجل أمر باتباع نبيه فقال: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [آل عمران ٣] وحذر نبيه صلى الله عليه وسلم من الابتداع فكان يقول في خطبه: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ»(٢)، فطريق العودة إلى عزة المسلمين ورفعتهم لابد أن يكون مبدأه ومعاده كتاب الله؛ وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ»(٣)، فالكتاب والسنة هما المنهج الذي يجب على الأمة ان تلتزمه إذا ارادت تحقيق مستقبلها السياسي.

ومن الأمور التي تعين على معالجة نقص الدين معرفة الواقع بمعرفة أساليب الجاهلية المعاصرة؛ وذلك أن هذه الجاهلية مرض، فمهم جدا معرفة خطط الأعداء وكيف يديرون أمورهم في المنطقة؛ وذلك حتى لا تخطف ثمار الجهاد والتضحية والبذل، وهذا لا يمكن ان يتحقق إلا بمعرفة أساليب أعدائنا وعدم الاغترار بما يتشدقون به، ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إنما تُنْقَض عُرَى الإسلام عُرْوَة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية"؛ وذلك أن "كمال الإسلام هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتمام ذلك بالجهاد في سبيل الله ومن نشأ في المعروف فلم يعرف غيره فقد لا يكون عنده من العلم بالمنكر وضرره ما عند من علمه ولا يكون عنده من الجهاد لأهله ما عند الخبير بهم ولهذا يوجد الخبير بالشر وأسبابه إذا كان حسن القصد عنده من الاحتراز عنه والجهاد لهم ما ليس عند غيره، ولهذا كان الصحابة أعظم إيمانا وجهادا ممن بعدهم لكمال معرفتهم بالخير والشر وكمال محبتهم للخير

(١) انظر: الحوالي، العلمانية، ٥٦١.

(٢) رواه مسلم في كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة [٨٦٧].

(٣) رواه الإمام احمد في مسنده [١٧١٤٢]، وابن ماجه في كتاب المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين [٤٣]، وقال محققو المسند: "حديث صحيح بطرقه وشواهده".

وبغضهم للشر لما علموه من حسن حال الإيمان والعمل الصالح وقبح حال الكفر والمعاصي"(١).

المطلب الثالث: الثبات على المبادئ.

ليس المقصود في هذا المطلب تعداد المبادئ، وانما المقصود الثبات عليها؛ حيث أنها من الأمور التي ينبغي على المنظم التركيز عليها، فالتلون في هذا الزمن كثر، وتقديم المصالح على المبادئ هو الحاصل، فانتشر الظلم والاستئثار، وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن التلون والتغير الحاصل في آخر الزمان فقال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»(٢) فوقع في هذا الزمن الانقلاب فيما دون الكفر فيصبح الانسان على مبدأ ويمسي على آخر مخالف له تماما، فالتلون هو سبب ضعف الأمة وعكسه الثبات على المبادئ فإنه من أسباب نصر الامة، واذا نظرت الى العرب في جاهليتهم عرفت لماذا خصهم الله عز وجل ببعث نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من بينهم؛ وذلك لما فيهم من الخصال الحميدة والتي من أهمها الثبات على المبادئ وتقديمها على مصالحهم الشخصية والقبلية؛ ومن أمثلة ذلك ما حصل بين أبي سفيان بن حرب وهرقل قيصر الروم قبل ان يسلم أبا سفيان في زمن صلح الحديبية حين سأله هرقل أسئلة عن النبي صلى الله عليه وسلم وطلب ممن مع ابي سفيان ان يكذِّبوه اذا كذب قال أبو سفيان رضي الله عنه: "فَوَاللَّهِ لَوْلاَ الحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَلَيهِ"(٣)، فحمله مبدأ الحياء على ترك الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم مع استحكام العداوة، وفي قصة ثمامة بن آثال حيث أسره النبي صلى الله عليه وسلم وثباته على مبدأه ولم يتلون ولم يتغير لمدة ثلاثة أيام؛ فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ٣٠١/١٠.

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن [١١٨].

(٣) رواه البخاري في كتاب بدء الوحي [٧].

بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي المَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ المَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ الغَدُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ: إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الغَدِ، فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، فَقَالَ: «أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ» فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ المَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ المَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ البِلاَدِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ العُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ(١)، واعتبر بثبات الصحابة رضي الله عنهم مع ما لاقوه من تعذيب وقتل وتشريد، وثباتهم على الكلمة يسمعونها من النبي صلى الله عليه وسلم فهذا ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه يقدم على النبي صلى الله عليه وسلم فيسأله أسئلة عن الإسلام في مدة لا تتجاوز الساعة ثم ينطلق مبشرا ونذيرا لقومه ويثبت على ذلك ولا تذكر لنا كتب الحديث والسيرة غير هذا اللقاء(٢)، وكانوا يتواصون بالثبات على المبادئ التي تمثل شعار الإسلام؛ كاللغة وغيرها من عادات العرب؛ فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب كتابا إلى عتبة بن فرقد: "أما بعد: فائتزروا، وارتدوا، وانتعلوا، وألقوا الخفاف، وألقوا السراويلات، وعليكم بالشمس؛ فإنها حمام العرب، وعليكم بلباس أبيكم إسماعيل، وإياكم

(١) رواه البخاري في كتاب المغازي باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال [٤٣٧٢].

(٢) روى هذه القصة البخاري في كتاب العلم باب ما جاء في العلم [٦٣].

والتنعم، وزي العجم، وتمعددوا، واخشوشنوا، واخلولقوا، واقطعوا الركب، وانزوا نزوا، وارموا الأغراض... وزاد في رواية: وتعلموا العربية"،(١) وذلك ان المحافظة على هذه الأمور والاعتزاز بها حفظ لشعائر الإسلام(٢).

المطلب الرابع: النية الخالصة والهمة الصادقة.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»(٣)، فلابد من نشر هذا بين الأمة ان تكون نيتهم في أعمالهم لله عز وجل فهم كما قال الله تعالى: {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا} [الإنسان ٩]، ويعقب هذا العزم على العمل فلا يوجد أي تردد؛ وذلك اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى: {فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران ١٥٩]، ولما استشار النبي صلى الله عليه وسلم صحابته يوم أحد فأشار اكثرهم بالخروج لملاقاة العدو وكأنهم بعد ذلك ترددوا فقالت: الْأَنْصَارُ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ رَدَدْنَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْيَهُ فَجَاءُوا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَأْنُكَ، فَقَالَ: «الْآنَ إِنَّهُ لَيْسَ لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لَأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهُا حَتَّى يُقَاتِلَ»(٤)، فبهذا نحقق المستقبل السياسي لهذه الأمة نية خالصة ثم عزم مع همة صادقة.

أما ترك العمل احتجاجا بوجود البشرى فهذا فهم سقيم لمعنى الإيمان بالقدر، فالمطلوب إيمان بالقدر وعمل بالأمر الشرعي؛ ففي غزوة الخندق التي وصف الله عز وجل حال المؤمنين وصفا دقيقا فقال: {إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً } [الأحزاب ١٠-١١] في هذا الموقف الحرج يبشر النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) رواه ابن الجعد في مسنده [٩٩٥] وانظر: الفروسية لابن القيم ١٢٠ لمعرفة شرح هذا الأثر القيم.

(٢) انظر: صالح الحصين، التكلم بغير العربية المحظور منه والمباح.

(٣) متفق عليه، البخاري في كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم [١]، ومسلم في كتاب الإمارة باب قوله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنية»، وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال [١٩٠٧].

(٤) رواه الدارمي في مسنده في كتاب الرؤيا باب في القمص والبئر واللبن والعسل والسمن والتمر وغير ذلك في النوم [٢٢٠٥] وقال محققه: "إسناده صحيح على شرط مسلم".

أصحابه بفتح العراق والشام واليمن وهم يعملون في حفر الخندق فلم تمنعهم هذه البشارة بترك العمل والاتكال عليها بل دفعتهم للجد في العمل.

فالإيمان بالقدر إيمان بالغيب؛ ومنه نصرة الأمة وتمكينها وغلبتها كل هذا غيب في غيب، فقد يتحقق قريبا أو بعيدا، وهو وعد من الله ولن يخلف الله وعده، فيترك البحث فيه من ناحية زمن تحققه؛ لأنه علم مفقود، وإنما يتجه للعمل بالأسباب المشروعة المطلوبة منا شرعا سواء تحققت النتائج أم لم تتحقق(١)، وانظر في ذلك في مهمة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام فهي محصورة في البلاغ، وأما تحقق النتيجة بإيمان الناس فليست مطلوبة منهم، ولهذا بذل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جهدهم بما هو مطلوب منهم فبلغوا رسالة ربهم أكمل البلاغ وأتمه فتحقق لبعضهم النتيجة ولم يتحقق لبعضهم؛ فعن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلاَنِ وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي فَقِيلَ لِي هَذَا مُوسَى صلى الله عليه وسلم وَقَوْمُهُ وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ فَقِيلَ لِي انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ الآخَرِ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ فَقِيلَ لِي هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلاَ عَذَابٍ »(٢)، وانظر في الدعاء حيث طلب منا شرعا الدعاء ووعد قدرا الاستجابة؛ فقال تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر ٦٠] فالعبد إذا ترك الدعاء بدعوى انه لم يستجب له فإنه يلام إذ انه ترك ما هو مطلوب منه شرعا، واما الاستجابة فهي في علم الله عز وجل، فهذا هو الفهم السليم للإيمان بالقدر أما الانتظار البليد وترك العمل بأوامر الشرع فهو الخطر.

(١) انظر: ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ٣٤٣، والعلمانية، ٥١٩.

(٢) متفق عليه، البخاري في كتاب الرقاق باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب [٦٥٤١]، ومسلم في كتاب الإيمان باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب [٢١٦].

وينبغي على المنظم سنُّ الأنظمة التي تعين الأمة على الهمة الصادقة ومن اهمها ترك الترف والتنعم فكلما زاد الترف والتنعم اقترب الفناء والزوال، وكانت الأمة بعيدة عن النصر والتمكين(١)، ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينهى عماله ورعيته عن التنعم فيقول: "إياكم والتنعم، وزي العجم، وتمعددوا، واخشوشنوا"،(٢) فهذا سبب مع غيره من الأسباب التي يترتب عليها تحقيق المستقبل السياسي للأمة بالتمكين في الأرض، فإذا لم نأخذ بها فإن غيرنا سيأخذ بها ويتحقق له ما يريد، ونحن أولى بهذا من غيرنا فإنا ندعوا الناس للإسلام والخضوع لأحكامه، وغيرنا يدعوا للخضوع لأحكام وضعها من تلقاء نفسه وفرق بين النظام المستمد من الكتاب والسنة وبين النظام المستمد من عقول البشر الناقصة.

ولابد من بيان للأمة انه سيحصل لها ابتلاء كما حصل للأمم السابقة قال تعالى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} [البقرة ٢١٤] فاذا حصل هذا فليكن عندنا حسن ظن بالله وصدق بوعده وايمان بسنته اقتداء بالصحابة رضي الله عنهم فإنه لما اصابهم البلاء والزلزال في غزوة الخندق قالوا: {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا} [الأحزاب ٢٢](٣).

والعمل على تحقيق هذه المبادئ يحتاج إلى صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على امتحان الله(٤)، والصبر بهذه الصفة عظيم أجره

(١) انظر: مقدمة ابن خلدون ١٣٨ وما بعدها.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٤٦٠/٢٨.

(٤) انظر: العودة، من وسائل دفع الغربة، ٢١١.

جزيل ثوابه؛ قال أَبُو أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيُّ: سَأَلْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيَّ فَقُلْتُ: يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ كَيْفَ تَقُولُ فِي هَذِهِ الآيَةِ (عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ) قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْهَا خَبِيرًا سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ – يَعْنِي بِنَفْسِكَ – وَدَعْ عَنْكَ الْعَوَامَّ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ الصَّبْرُ فِيهِ مِثْلُ قَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلاً يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُمْ، قَالَ: «أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ»(١).

(١) سبق تخريجه.

الخاتمة:

أهم النتائج والتوصيات:

١. استشراف المستقبل علم مهم لوضع الخطة التي تسير عليها الأمة الإسلامية لتحقيق المطلوب منها.

٢. التلازم بين استشراف المستقبل وسنِّ الأنظمة.

٣. مستقبل الأمة السياسي المشرق لن يتحقق إلا وفق السنن الكونية.

٤. دين الإسلام قائم إلى يوم القيامة ولا تزال طائفة من هذه الأمة منصورة ظاهرة لا يضرها من خذلها.

٥. ظهور معجزة النبي صلى الله عليه وسلم في وقوع ما أخبر به.

٦. هذه الأمة مرت بحالة قوة ثم ضعف وسترجع إليها قوتها بإذن الله تعالى.

٧. الفتنة في هذه الأمة قائمة إلى قيام الساعة والسيف فيما بينها موضوع.

٨. فتنة هذه الأمة في المال.

٩. صفة الولاية في هذه الأمة: نبوة، وخلافة، وملك عاض، وملك جبري.

١٠. لا ترابط بين صفة الولاية في هذه الأمة وبين قوتها.

١١. الترابط بين الضعف السياسي للأمة والضعف الديني لدى أفرادها؛ فكما تكونوا يول عليكم.

١٢. اهم أنواع الظلم المطلوب ازالته ظلم الوجدان البشري بتعلقه بشبهة أو شهوة.

١٣. أول خطوة لعودة المسلمين إلى سابق عهدهم يكون بتمسكهم بالتوحيد قولا وسلوكا.

١٤. التلازم بين العمل الجاد المتقن وبين الإيمان بالقدر، فلا يعني الإيمان بالقدر التعاجز والتكاسل عن العمل.

١٥. المطلوب من الأمة العمل وفق ما شرع الله سواء تحققت النتائج او لم تتحقق.

١٦. تصرفات الأمة لا بد أن يكون وفق كتاب الله وهدي رسوله صلى الله عليه وسلم وأن تبتعد عن الابتداع في الدين.

١٧.في رسم المنهاج النبوي للأمة عودة بها إلى عز مجدها لا بد أن تؤخذ العبرة من الماضي والتعرف على الواقع والتخطيط للمستقبل.

هذا ما يسره الله سبحانه والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

المراجع:

- آبادي، شمس الحق العظيم، ١٤١٠هـ، عون المعبود شرح سنن ابي داود، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن أبي العز، علي بن علي بن محمد الحنفي،١٤١٣ه، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ابن الأثير؛ مجد الدين المبارك بن محمد الجزري، (بدون تاريخ) النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، (بدون رقم الطبعة) بيروت، دار الفكر.
- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله، ١٤١٧ه، رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، (بدون رقم الطبعة) أكاديمية المملكة المغربية، الرباط.
- ابن تيمية؛ أحمد بن عبد السلام، ١٤١٦ه، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، (بدون رقم الطبعة) المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام، ١٤٠٦ه، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، (بدون رقم الطبعة) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
- ابن جبير، محمد بن أحمد، (بدون تاريخ) رحلة ابن جبير، الطبعة الأولى، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت.
- ابن الجعد، علي بن الجعد،١٤١٠ه، مسند ابن الجعد، تحقيق: عامر حيدر، الطبعة الأولى، مؤسسة نادر، بيروت.
- ابن حجر؛ أحمد بن علي، (بدون تاريخ) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (بدون رقم الطبعة) القاهرة، المطبعة السلفية.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، ١٣٩٨ه، مقدمة ابن خلدون، الطبعة الرابعة، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة.
- ابن سعد؛ محمد بن سعد، (بدون تاريخ) الطبقات الكبرى، (بدون رقم الطبعة)، دار صادر، بيروت.

- ابن شاس المالكي، جلال الدين عبد الله بن نجم، ١٤١٥ه، عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة، تحقيق: محمد أبو الأجفان وعبد الحفيظ منصور، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- ابن فارس، ابو الحسين أحمد بن فارس، ١٤١١ه، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت.
- ابن قاسم، عبد الرحمن بن محمد، ١٤٠٢هـ، حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، الطبعة الثانية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
- ابن قدامة، شمس الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن محمد، ١٤١٤ه، الشرح الكبير مع المقنع والإنصاف، تحقيق: عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو، الطبعة الأولى، هجر للطباعة، القاهرة.
- ابن عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله بن محمد، ١٤٠٠ه، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، الطبعة الرابعة، المكتب الإسلامي، بيروت.
- ابن عساكر، علي بن الحسن، ١٤٢١ه، تاريخ دمشق الكبير، الطبعة الأولى، دار احياء التراث العربي، بيروت.
- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر، ١٤١٨ه، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله التركي، هجر للطباعة، القاهرة.
- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد (بدون تاريخ)، سنن ابن ماجه، (بدون رقم الطبعة) بيت الأفكار الدولية، الرياض.
- ابن معمر، احمد بن معمر، (بدون تاريخ) الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب، (بدون رقم الطبعة) مؤسسة النور، الرياض.
- ابن مفلح، محمد بن مفلح، ١٤٢٤ه، الفروع، تحقيق: عبد الله التركي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، (بدون تاريخ) لسان العرب، (بدون رقم الطبعة) دار صادر، بيروت.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث، ١٤١٩هـ، سنن أبي داود، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت.

- أبو سعد، محمد شتا، (بدون تاريخ) مبادئ علم استشراف المستقبل في المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، دار المعراج، الرياض.
- البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، ١٤١٧هـ، صحيح البخاري، الطبعة الأولى، دار السلام، الرياض.
- البخاري، أبو الطيب صديق بن حسن، (بدون تاريخ) الروضة الندية شرح الدرر البهية، (بدون رقم الطبعة) الشؤون الدينية بقطر.
- البرهان فوري، علاء الدين بن حسام الدين الهندي، ١٣٦٦ه، كنز العمال في سنن الاقوال والافعال، (بدون رقم الطبعة) مؤسسة الرسالة، بيروت.
- البهوتي، منصور بن يونس، ١٤١٢ه، الروض المربع بشرح زاد المستقنع، الطبعة الرابعة، دار الكتاب العربي، بيروت.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، ١٤٠٨ه، دلائل النبوة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ودار الريان للتراث، بيروت.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، (بدون تاريخ) جامع الترمذي، (بدون رقم الطبعة) الرياض، بيت الأفكار الدولية.
- الجرجاني، علي بن محمد، ١٤٠٨هـ، التعريفات، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت.
- شنتير، حاتم فزع، (بدون تاريخ) نماذج من استشراف المستقبل في السيرة النبوية، مجلة مداد الآداب، الجامعة العراقية، العدد (٥) ص٣٨٨-٤١٥.
- الحجي، عبد الرحمن بن علي، ١٤٢٩هـ، التاريخ الأندلسي، الطبعة الثانية، دار القلم، بيروت.
- الحصين، صالح بن إبراهيم، ١٤٣١ه، التكلم بغير العربية المحظور منه والمباح، مجلة الجمعية الفقهية السعودية العدد (٦) ص٨٣-١٣٧.
- الحصين، عبد السلام بن إبراهيم، ١٤٢٢ه، القواعد والضوابط الفقهية للمعاملات المالية عند ابن تيمية جمعا ودراسة، الطبعة الأولى، دار التأصيل، القاهرة.
- الحوالي، سفر بن عبد الرحمن، محاضرة على موقعه الشخصي في الشبكة العنكبوتية، http://majles.alukah.net/t٨٦٢٥/#ixzz٣٣٥hWP٨QW.

- الحوالي، سفر بن عبد الرحمن، ١٤٠٨هـ، العلمانية (بدون رقم الطبعة) الدار السلفية، الكويت.
- الخزاعي، أبو عبد الله نعيم بن حماد، ١٤١٢ه، الفتن، الطبعة الأولى، تحقيق: سمير أمين الزهيري، مكتبة التوحيد، القاهرة.
- الخطيب، محمد الشربيني، (بدون تاريخ) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المحتاج (بدون رقم الطبعة) المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.
- الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن، ١٤٢١ه، مسند الدارمي المعروف بسنن الدارمي، الطبعة الأولى، تحقيق: حسين الداراني، دار المغني، الرياض.
- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، (بدون تاريخ) الفائق في غريب الحديث، الطبعة الثانية، تحقيق: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت.
- السرخسي، شمس الدين، ١٤٠٩هـ، المبسوط، (بدون رقم الطبعة) دار المعرفة، بيروت.
- آل سعود، عبد العزيز بن سطام، ١٤٣٣ه، سياسة عمر بن عبد العزيز في سن الأنظمة بناء على قوله: "تحدث للناس اقضية..."، مجلة الجمعية الفقهية السعودية العدد (١٢) ص١٥-١٢٥.
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى، (بدون تاريخ) الموافقات في أصول الشريعة، (بدون رقم الطبعة) مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
- الشافعي، الإمام محمد بن ادريس، ١٤٠٣هـ، الأم، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت.
- شحاته، محمد سيد، ١٤٣٣ه، تأصيل استشراف المستقبل من خلال السنة النبوية، مؤتمر "الفتوى واستشراف المستقبل، جامعة القصيم، ص١٨٧-٢٤٠.
- الشنقيطي، سيد محمد ساداتي، ١٤١٨ه، وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، الطبعة الرابعة، دار اشبيليا، الرياض.
- الشيباني، الإمام أحمد بن حنبل، ١٤١٧ه، المسند، الطبعة الأولى، تحقيق مجموعة بإشراف: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الصلابي، علي، ٢٠٠٩/١١/١٤م، الإصلاح والأخلاق، صحيفة ليبيا اليوم، طرابلس.

- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، (بدون تاريخ) المعجم الأوسط، (بدون رقم الطبعة) تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (بدون تاريخ) تاريخ الأمم والملوك، (بدون رقم الطبعة) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان.
- الطيالسي، سليمان بن داود بن الجارود، ١٤١٩ه، مسند الطيالسي، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد التركي، دار هجر، القاهرة.
- العمرو، علي بن عبد الرحمن، ١٣٩٩ه، أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول، الطبعة الأولى.
- العودة؛ سلمان بن فهد، ١٤٢١ه، من وسائل دفع الغربة، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي، الدمام.
- الفتوحي الحنبلي، تقي الدين محمد بن أحمد، ١٤٢٧ه، منتهى الإرادات في جمع المقنع مع التنقيح وزيادات، الطبعة الثانية، تحقيق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الفيومي، أحمد بن محمد، ١٤١٤ه، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.
- قزق، عماد عبد الكريم خصاونة وخضر إبراهيم قزق، السنن الإلهية في القرآن الكريم ودورها في استشراف المستقبل، http://kenanaonline.com/users/karamybadawy/posts/٢٠٦٤٢٦.
- قشوع، عبد الرحمن عبد اللطيف، ٢٠٠٥م، استشراف المستقبل في الأحاديث النبوية، رسالة ماجستير في الحديث الشريف، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية.
- القشيري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، ١٤١٩ه، صحيح مسلم، (بدون رقم الطبعة) بيت الأفكار الدولية، الرياض.
- قطب، سيد، ١٤٠٨ه، العدالة الاجتماعية، الطبعة العاشرة، دار الشروق، مصر.
- قلعه جي، محمد رواس قلعه جي وحامد قنيبي، ١٤٠٨ه، معجم لغة الفقهاء، الطبعة الثانية، دار النفائس.
- الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، ١٤١١ه، المستدرك على الصحيحين، الطبعة الأولى، تحقيق: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.

- الكاساني الحنفي، علاء الدين أبي بكر بن مسعود، ١٤٠٢ه، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت.
- الماوردي، علي بن محمد، ١٤٠٨ه، أدب الدنيا والدين، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد أبو بكر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.
- المرغياني، أبو الحسن علي بن أبي بكر، (بدون تاريخ) الهداية شرح بداية المبتدئ، (بدون رقم الطبعة) المكتبة الإسلامية، بيروت.
- المزيني، خالد بن عبد الله، فقه التوقع. http://site.islam.gov.kw/eftaa/Entries/Pages/Entry١٩.aspx
- المطيعي، محمد نجيب، (بدون تاريخ) المجموع شرح المهذب، الطبعة الأولى، مكتبة الارشاد، جدة.
- المعلمي الشافعي، عبد الرحمن اليماني، ١٤١٨ه، عمارة القبور، المطبعة الأولى، المكتبة المكية.
- الموسوعة الفقهية، ١٤٠٩ه، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، الطبعة الثانية، ذات السلاسل، الكويت.
- النسائي، ١٤٢١ه، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- النسفي الحنفي، نجم الدين أبي حفص عمر بن محمد، ١٤١٨ه، طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية، الطبعة الأولى، علق عليه: أبو عبد الله محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الوعلان، عبد المجيد بن محمد، ١٤٣٢-١٤٣٣ه، الآيات الكونية دراسة عقدية، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- همام، عبد الرحيم سعيد وابنه محمد، ١٤٢٩ه، موسوعة أحاديث الفتن وأشراط الساعة، الطبعة الثانية، جهاد الأستاذ للنشر، الرياض.